

هذه عقائدنا

ج. كلايد تارنر

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة – الرجاء التقيد

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن خاص ومكتوب من الخدمة العربية للكرامة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي فقط وليس بهدف بيعها أو المتاجرة بها بأي طريقة كانت ومهما كانت الأسباب.

المحتويات

ذلك الكتاب العجيب
الإله الواحد الحق
تاج الخليقة
فضاعة الخطيئة
مخلص البشر
الخلاص العظيم
روح القوة
الكنيسة التي أسسها المسيح
العالم الآتي

الفصل الأول ذلك الكتاب العجيب

"عجيبه هي شهاداتك" (مزمور 119: 129)

"الكتاب المقدس" هو الاسم الذي أُطلق على مجموعة الكتابات المقدسة التي نسميها "الأسفار المقدسة" لأن مؤلفه هو الروح القدس, ولأنه يبحث في أمور مقدسة. مرة أعطي أحد الصينيين المثقفين نسخة من الكتاب المقدس, وبعد مدة رجع إلى المعطي وسأله "ما هو السر في هذا الكتاب الذي أعطيتني إياه الذي يجعله يختلف عن غيره من الكتب؟ أني قرأت الكثير من التعاليم الأخلاقية الجيدة في الأدب الصيني ولم أضطرب في داخلي عندما اقتربت خطأ ما قبل هذا الكتاب, وأما الآن فأشعر باضطراب كلما أخطأت. فما الذي يختلف يا ترى؟".

قال السياسي العظيم كلادستون "لقد تميز الكتاب المقدس بطابع خاص في أصله ولذلك فإن هناك فرقاً كبيراً يميزه عن أي كتاب يحاول منافسته". إن الكتاب المقدس أكثر من كتاب عادي, إنه مكتبة تحوي ستة وستين سفرًا ولذا دعي "بالمكتبة الإلهية" ففيه أسفار في القانون, والتاريخ, وسير العظماء, والشعر, والنبوات.

إن كاتب المزامير لم يكن له إلا القسم الصغير من العهد القديم غير أن هذا القسم بنظره كان كتاباً عجيباً "عجيبه هي شهاداتك" فكم يكون أعجب هذا الكتاب المقدس الكامل الذي هو بين أيدينا. إذاً ما الذي يجعل الكتاب المقدس عجيباً إلى هذا الحد؟.

إنه كتاب موحى به

الكتاب المقدس هو الكتاب الوحيد في العالم أجمع الذي يستطيع أن يدعي بحق بأنه موحى به بكل ما في كلمة الوحي من معنى.

1. معنى الوحي

قال بطرس "بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس" (2 بطرس 1: 21). الكتاب المقدس كتبه أناس، ولكنهم كانوا أناساً مسوقين بالروح القدس.

وقولنا أن الكتاب كله موحى به لا يعني أن جميع أجزائه متعادلة الأهمية. فسفر اللاويين الذي يشرح الناموس الطقسي ليس له ذات الأهمية التي لرسالة رومية، التي تظهر خطة الله العظيمة للخلاص. الفصل العاشر من سفر التكوين، الذي يعطينا لائحة بالأسماء، لا يمكن مقارنته بالأصحاح الثالث من إنجيل يوحنا الذي يظهر محبة المخلص. ولكن كل جزء من الكتاب المقدس له موضعه الخاص وهو جزء متمم لهذا الكل. إن إعلان الله بجد ذاته كان بصورة تدريجية. والعهد القديم هو بمثابة الأساس للعهد الجديد. وقولنا أيضاً أن الكتاب موحى به لا يعني بأن الكاتب لم يقم بجهود للوصول إلى الحقائق من دونها. فإن لوقا مثلاً يقول في مقدمة إنجيله "رأيت أنا أيضاً إذ تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس" (لوقا 1: 3). إذاً لقد قام بمجهود دقيق ليتأكد من الحقائق مقتاداً بإرشاد سماوي في عمله.

لقد كتب الكتاب المقدس باللغتين العبرية واليونانية - العهد القديم كتب باللغة العبرية, والعهد الجديد كتب باليونانية. عن الوسيلة الوحيدة لنسخ الأسفار في تلك الأيام كانت نسخها باليد وهذه عملية شاقة طويلة فكان عددها قليلاً جداً وهكذا فقدت المخطوطات الأصلية, وكل ما هو بين أيدينا اليوم نسخ عن النسخ الأصلية المكتوبة باليد, وكتابنا المتداول اليوم هو ترجمة لهذه النسخ القديمة. كانت النسخ الأصلية موحاة بها من الله وهناك كل الأدلة على أن كمال أو نزاهة النسخ الأصلية قد صينت بطريقة عجيبة.

2. طريقة الوحي

لا يتفق كل المسيحيين على طريقة الوحي. كما لا يتفق جميع المعمدانين في هذا الموضوع. ولك هناك على العموم اجتهادين سنأتي على ذكرهما للاستفادة.

(1) الوحي الميكانيكي. يعتقد البعض بالوحي الحرفي الكامل, أي بأن كل كلمة في الكتاب أملاها الروح القدس بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وقد كتب الناس ما أمرهم الله أن يكتبوه حرفياً. ففي سفر الخروج 24: 4 نقرأ ما يلي. "فكتب موسى جميع أقوال الرب" وفي ارميا 30: 1-2 نقرأ ثانية "الكلام الذي صار إلى ارميا من قبل الرب قائلاً هكذا تكلم الرب إله إسرائيل قائلاً اكتب كل الكلام الذي تكلمت به إليك في سفر". ويقول بولس أيضاً "ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله التي نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل ما يعلمه الروح القدس" (1 كورنثوس 2: 12-13).

وحقيقي أيضاً أن الكتاب لم يفهموا أحياناً كل ما هو مضمون فيما كتبوه. فاشعياء والأنبياء الآخرون لم يفهموا تماماً كل ما كتبوه عن حوادث المستقبل بل كانوا يكتبون ما أمرهم الله بأن يكتبوه: "الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء. الذين تنبؤوا عن النعمة التي لأجلهم. باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأعجاد التي بعدها" (1 بطرس 1: 10-11).

(2) الوحي الديناميكي. ويمكننا أن نسميه الوحي الفكري. أي ما يعارض الإيحاء الحرفي. وبناءً على هذه النظرية، نقول أن الكلمات كانت من وضع الكاتب واختباره ولكن الحقيقة المدونة كانت من الله. أي أن الفكرة فكرة الله والصيغة التي صيغت بها هي من وضع الكاتب، وهذا ما يعطي الكتاب مجالاً لتبيان شخصيتهم وهذا ما يفسر تنوع الأساليب في الكتابات المتعددة الحاضرة.

وسيان ما كانت طريقة الوحي، فالذين دونوا الكتاب كانوا تحت قيادة إلهية مكنتهم من تدوين ما أراد الله أن يدونوه. ويشرح الدكتور أ. ه. سترونغ هذه النظرية بقوله "يظهر أن مدوني الأسفار قد سيطر عليهم الروح القدس بطريقة جعلتهم يفهمون ويتحسون حتى الحقائق الجديدة التي كان عليهم أن يدونوها وكأنها من بنات أفكارهم. ثم تركوا لأعمال أذهانهم للتعبير عن هذه الحقائق مع استثناء واحد هو أنهم كانوا محفوظين بقوة خارقة للطبيعة تمنعهم من اختيار الكلمات الخاطئة وعند

مسييس الحاجة كانوا يمنحون الكلمات الصحيحة. فالوحي إذاً حرفي بنتائجه وغير حرفي من حيث تقبلها".

3. أدلة الوحي

ما هو الدليل على أن الكتاب المقدس كتاب موحى به؟

(1) ادعاء مدوّني الكتاب المقدس أن الذين دوّنوا الكتاب يدعون بأنهم كانوا ينطقون بلسان الله أو أن الله كان يتكلم بهم. "اسمعي أيتها السموات وأصغي أيتها الأرض، لأن الرب يتكلم" (أشعيا 1:2). "فكانت كلمة الرب إليّ قائلاً...." (أرميا 1:4). "وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأني لم أقبه من عند إنسان ولا علمته. بل بإعلان يسوع المسيح" (غلاطية 1:11-12). وقد أعلن بولس أن "كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع" (2 تيموثاوس 3:16). وهناك أقوال أخرى كثيرة في الكتاب تؤيد وحيه.

(2) وحدة الكتاب المقدس: لم يكتب الكتاب المقدس شخص واحد بل اشترك في كتابته أشخاص عدة يمثلون نواحي شتى في الحياة، فمنهم الراعي والمزارع وصياد السمك والفلاح ولم يكتب جميعه في عصر واحد إذ هناك فترة التقارب الستة عشر قرناً ما بين كتابة السفر الأول والأخير من الكتاب. ولم يكتب في مكان واحد إذ كتبت أجزاء منه في البرية وأخرى في فلسطين وغيرها في أماكن متعددة امتدت من روما إلى بابل ولم تكتب النسخ الأصلية لتؤلف كتاباً واحداً لأن كل كاتب كتب مستقلاً عن الآخر ومع هذا كله لما جمعت هذه الأسفار بإرشاد الروح القدس أتت كتاباً واحداً له وحدة عجيبة لا يفسرها شيء سوى أن يد الله الهادية كانت تعمل فيه.

(3) محتويات الكتاب المقدس: يحتوي الكتاب المقدس على حقائق ونبوات ورسالة للبشر لا يمكن أن تكون من إنتاج العقل البشري المجرد.

أولاً: هناك حقائق دُوّنت في الكتاب المقدس لا يمكن للبشر معرفتها لو لم تكن قد أعلنت لهم من الله. تظهر الطبيعة بعض صفات الله، ولكن الحقيقة الكاملة المتعلقة بطبيعته وقصده تعرف فقط بواسطة النص الموحى به والذي قدمه لنا بكلمته. وهناك حقائق لا يمكن فهمها إلا إذا أدركناها روحياً "ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحياً" (1 كورنثوس 14:2).

ثانياً: إتمام النبوات يشهد بوحى الأسفار. أن العهد القديم يحوي نبوات لم تتم إلا بعد مرور عدة قرون. فمكان ولادة يسوع وطرقها قد أنبئ عنها قبل حدوثها بسبع مئة سنة، والأصحاح الثالث والخمسون من اشعيا يحتوي على وصف عجيب لآلام الرب وموته كما نرى هذا التعبير يتردد مرارا في الأناجيل "ليتيم ما قاله الله بالنبى". وفي المجمع في الناصرة قرأ يسوع من الفصل الحادي والستين من سفر اشعيا ثم أغلق الكتاب وقال: "اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم" (لوقا 4:21). فكيف يمكن للبشر أن يهتكوا حجب المستقبل ليخبروا بالضبط والتأكيد عن أشياء ستتم؟ ليس من جواب أكيد سوى: لقد أوحى الله لهم بذلك.

ثالثاً: إن رسالة الكتاب المقدس تثبت أنه موحى به. فقد قيل عن يسوع "لم يتكلم قط إنسان هكذا" (يوحنا 7:46). وهذا حق لأنه لم يقم مطلقاً إنسان كذلك

الإنسان. وعلى ذات الغرار يمكن القول عن الكتاب المقدس بأنه: "لم يتكلم كتاب قط كهذا الكتاب" لأنه لم يقم مطلقاً كتاب كهذا الكتاب. فهو يعلمنا عن ماهية إلهنا كما يظهر لنا قباحية الخطية ونتائجها الوخيمة كما يشير إلى طريق الخلاص. لقد كانت تعاليم الكتاب هي المنبع الأسمى لمثاليات العالم الروحية والخلقية. ولولا الكتاب لظل العالم يتخبط في الظلام الروحي.

(4) شهادة يسوع: إن أقوال يسوع تؤكد وحي الكتاب. إذ طالما اقتبس من أسفار العهد القديم معتبراً إياها ذات سلطة إلهية. "قال لهم يسوع أما قرأتم في الكتب. الحجر الذي رفضه البنائون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا" (متى 21:42). "فأجاب يسوع وقال لهم تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله" (متى 22:29). "ثم ابتداءً من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب" (لوقا 24:27).

كان الناس يتساءلون عن وحي أسفار العهد القديم ولكن يسوع لم يخطر بباله مثل هذا التساؤل على ما يظهر. فقد اتخذ حادثتين من حوادث العهد القديم، تلك الحوادث التي كان يدور حولها التساؤل، واستعملهما لإيضاح حقائق أبدية أولاهما تتعلق بالطوفان فقال "لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع، كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان: (متى 24:38 - 39).

والثانية، هي أن البعض قد استخف بقصة يونان والحوت ولكن يسوع قال "لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال" (متى 40:12). وقد قال يسوع أيضاً في حديثه الأخير مع تلاميذه قبيل موته "في بيت أبي منازل كثيرة و إلا فإني كنت قد قلت لكم" (يوحنا 2:14). لم يكن يسمح لتلاميذه أن يتبقوا بآمال لو لم تكن هذه الآمال تتحقق. وعلى الأساس ذاته لو لم تكن الأسفار التي آمنوا بها صحيحة لكان قد أخبرهم بذلك.

الوعد الذي وعد به يسوع تلاميذه يؤكد وحي أسفار العهد الجديد "وأما المعزي الروح القدس الذي سير سله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم" (يوحنا 14:26).

وهذا يفسر لنا كيف استطاع الكتّاب أن ينقلوا أحاديث يسوع الطويلة بعد مضي سنين عديدة على تفوهه بها.

وقد قال يسوع ثانية "أن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية" (يوحنا 12:16-13).

(5) تأثير الكتاب المقدس حيثما وجد الكتاب وجد التغيير في حياة البشر وحياة الأمم، فمن تأثيره تحوّل الخطاة إلى قديسين والأمم المتوحشة المتأخرة إلى أبناء الله. لقد ولد التعزية في القلوب الحزينة والشجاعة في الأرواح اليائسة. وما من رائعة في الأدب أو الموسيقى أو الفن إلا وكان مرجعها إلى تأثير الكتاب ولذلك قال جورج وشنطن "لا يمكن أن يساس العالم سياسة صالحة بدون الله والكتاب المقدس" أما يوحنا ر. كرين فيقول "لم يمر بأمة تغيير كالذي مرّ بإنكلترا في الفترة التي تفصل بين أواسط ملك إليزابيث واجتماع البرلمان الطويل. إذ أن إنكلترا قد أصبحت شعب كتاب وذلك الكتاب كان الكتاب المقدس.

إنه كتاب ديني

لا يتطرق الكتاب المقدس إلى جميع مناحي الحياة فلم تكن الغاية منه تعليم العلوم أو ما يتفرع منها. إنه أولاً وقبل كل شيء كتاب ديني يوجه الإنسان إلى الله ويعلمه كيف يعيش وبما أنه كتاب ديني يجب أن نشدد على الحقائق التالية:

1- كتاب ذو سلطان:

إن للكتاب المقدس سلطة جازمة قطعية في كل ما يتعلق بنواحي الدين، لقد ركز البعض كرسي السلطة في الكنيسة، وهؤلاء يدّعون بأن الكنيسة هي التي تعين ما على البشر أن يؤمنوا به وكيف يجب أن يعيشوا، وبموجب هذه النظرية يكون كرسي السلطة فعلاً بيد أصحاب الرتب العالية في الكنيسة.

آخرون ينسبون للكتاب المقدس سلطة جزئية. فيقولون بأن الكتاب يحوي بذرة الحقيقة، لكن هذه البذرة يجب أن يضاف إليها بعض القوانين البشرية. فللكتاب

المقدس بالنسبة لأصحاب هذه النظرية سلطة في الأمور الجوهرية. إلا أنه مجرد من السلطة في الأمور الثانوية. ولكن من هو الذي يستطيع أن يضع الحد الفاصل بين ما هو جوهري وما هو غير جوهري؟ إن الكتاب نفسه لم يضع مثل هذا الحد، للكتاب سلطة جازمة قاطعة في كل الأشياء التي يبحث فيها.

هناك فئة أخرى ترفض سلطة الكتاب. وتنظر إلى ضمير الفرد والعقل البشري كسلطة دينية. وحسب رأيهم هذا الفهم لا يقبلون أي حقيقة ما لم تخضع للعقل ويوافق عليهما الضمير. ورأي كهذا يترك الإنسان ولا سلطان عليه بل هو سلطان نفسه.

يصف بولس حياته قبل إيمانه بقوله "فأنا ارتأيتُ في نفسي أنه ينبغي أن أصنع أموراً كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصري وفعلتُ ذلك أيضاً في أورشليم فحبستُ في سجون كثيرين من القديسين آخذاً السلطان من قِبَلِ رؤساء الكهنة ولما كانوا يقتلون ألقىت قرعة بذلك" (أعمال 9:26 - 10). لقد كان يتبع كلتا السلطتين سلطة رؤساء الكهنة وسلطة ضميره الشخصي. كان يفعل ما يأمره به رجال الدين أو ما كان يشعر في قلبه بأن عليه أن يفعله.

فإن كان الكتاب المقدس موحى به من الله فلا بد وأن يكون له السلطة القاطعة الباطنة في رسالته. وعندما يتكلم الكتاب فيجب أن يطاع. وفي أكثر من مرة أثناء مقارعة بولس للقادة الدينيين وأخطائهم كان يرجع إلى الكتب المقدسة. وعندما كان يتكلم في المجمع في تسالونيكي "كان يحاجُّهم من الكتب" (أعمال 17:2). وفي

رسالته إلى رومية عندما وضع لهم التعاليم العظيمة بشأن الخلاص نعر على تعابير كهذه: "لأنه ماذا يقول الكتاب" (3:4). "لأن الكتاب يقول" (11:10). إلى الكتاب إذن يجب أن نتجه متخذين إياه مصدراً للسلطة. وعندما يكون علينا أن نختار بين كلمة الإنسان وكلمة الله "ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس" (أعمال 5:29).

2- كتاب كاف:

إن الكتاب المقدس لدليل كاف في المسائل الدينية. أنه لا يكشف لنا عن كل الحقائق الدينية ولكنه يكشف لنا عما هو ضروري للإنسان أن يعرفه ليصل إلى غايته. أنه كله قاعدة كافية للإيمان والعمل. يعرف الإنسان كل ما هو ضروري لأن يؤمن به، وكل ما يحتاج إلى عمله. أنه يسهل طريق الخلاص لدرجة أن "من سلك الطريق حتى الجهال لا يضل". أنه يبين خطة الله لكنيستة ولجميع أعمالها. كما يبين طريقة الحياة التي يجب أن يتبعها كل رجل و امرأة، أنه يهتك الستر المسدل ليلمح الناس رؤيا العالم الآتي. الكتاب المقدس ليس كتاب قوانين لكنه كتاب مبادئ. أنه لا يقول "أفعل" أو "لا تفعل" لكل أمر من أمور الحياة ولكنه على العكس يضع المبادئ الأساسية العظيمة التي تقود الإنسان لأن يصمم بذاته ويكيف حياته بحسب تلك المبادئ.

3- كتاب نهائي:

لن يكون هناك كتاب مقدس آخر لأن لا حاجة لكتاب آخر لأنه يشتمل على كل ما يلزم الإنسان أن يعرفه إلى انقضاء الدهر. وهذا لا يعني أنه لن يكون هناك تفسيرات جديدة للكتاب أو أنه لن يستخرج منه حقائق جديدة، فكنوزه لا تنضب.

ولم يستطع جيل من الأجيال أن يستخرج من كل الحقائق الكامنة فيه. إنه كتاب نهائي في رسالته.

لن يستطيع العالم مطلقاً أن يسبق الكتاب فقد قال يسوع في أحد أحاديثه الأخيرة "السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول" (متى 24:35). كما أعلن بطرس أن "كلمة الرب تثبت إلى الأبد" (1 بطرس 1:25). وقال يسوع أن كلمته ستدين العالم في اليوم الأخير: "من رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه. الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير" (يوحنا 12:48).

كتاب حي فعال

هذا ما يدعيه الكتاب المقدس لذاته "لأن كلمة الله الحية وفعّالة" (عبرانيين 12:4). إنه حي وفعّال لأنه كلمة إله حي فعّال. لذا يصفه بطرس بقوله. كلمة الله الحية الباقية. (1 بطرس 1:23). إنه حي وفعال لأنه كلمة إله حي فعال. لذا يصفه بطرس بقوله. كلمة الله الحية الباقية. (1 بطرس 1:23). لم يقيض لكتاب أن يكون له هذا العدد الضخم من الأعداء، الذين حاولوا تدميره بكل ما لديهم من قوة. هزأ به الملحدون وازدراه غير المؤمنين. تنبأ فولتير الكاتب الفرنسي الملحد بأنه لن تمضي مئة سنة حتى يصبح الكتاب المقدس نسياً منسياً، أما انكرسل فقد ذهب إلى أبعد من هذا فأعلن أنه لن تمضي عشر سنوات حتى يصبح الكتاب المقدس كتاب غير مقروء، ولن يمضي عشرون عاماً حتى يصبح في طي النسيان. لكن هذين الرجلين قد توسدا التراب منذ سنين عديدة وأوشك الناس أن ينسوا اسميهما بينما الكتاب المقدس ما زال حياً وما زال أكثر الكتب رواجاً.

أما أن الكتاب كتاب حي فعال فهذا واضح من التشبيهات التي شبه بها.

1. زرع

هذا هو التشبيه الذي استعمله يسوع "الزرع هو كلام الله" (لوقا 8:10).

والزرع أو البذر شيء تكمن فيه الحياة. عثر المنقبون قبل عدة سنين على بعض البذور في قبر أثري في مصر. وقيل أنا ذاك أن تلك البذور كانت تحتفظ بالحياة بالرغم من مرور القرون، فقد زرعت ونمت وأثمرت. لا أعرف مدة الصحة من هذه القصة ولكنني أعرف أن بذرة كلمة الله لا تزال بالرغم من مرور القرون بذرة حية. فهي عندما تزرع في القلب البشري تنمو وتثمر. قرأت عن أستاذ في علم الزراعة اعتاد أن يحمل في يده بذرة بنية اللون صغيرة ويخاطب تلاميذه بقوله: "إنني أعرف سر تركيب هذه البذرة بالضبط. إنها تحتوي على الهيدروجين والكربون والنتروجين. كلما أعرف نسبة كل من هذه العناصر بعضها لبعض وباستطاعتي أن أصنع حبة مثلها أو تشبهها تماماً. ولكنني إذا زرعت حبي ستنج عدماً. وستحل عناصرها ويمتصها التراب ولكنني إذا زرعت الحبة التي خلقها الله فستصبح نباتاً لأنها تحتوي في ذاتها العنصر العجيب الذي ندعوه عنصر الحياة. وعلى ذات الغرار يستطيع الناس صنع كتاب يشبه الكتاب المقدس في مظهره. وقد يطبع على نوع الورق ذاته ويغلف بمثل غلافه ولكن هناك فرقاً كبيراً مازال قائماً. فكلمة الله فيها الحياة وعندما تدرس في تربة صالحة فإنها تعطي ثمرًا. ليس في البذرة حياة فحسب ولكن فيها قوة. إنها فعالة. إنها عندما تنمو في جوف الأرض تدفع أمامها كل ما يعترض طريقها. كثيرا ما نرى حجراً كبيراً أثقل

من أن يزحزحه الإنسان، ومع ذلك فقد دفع جانباً وأحياناً قد يفلق إلى فلتتين من جراء نبتة نامية على بذرة صغيرة وقعت في شق ذاك الحجر.

2. نور

يقول مرنم المزامير "سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي" (مزمور 105:119). إن كلمة الله سراج ونور والبشر سيّاح ومسافرون في سبيل مجهول، فهم بحاجة إلى نور يبدد ديجور الظلام ويكشف الطريق أمامهم ولذلك فهم بحاجة إلى سراج أو نبراس يكشف طبيعة الأرض التي يسرون عليها ويكشف العثرات والمزالق التي قد تعترض السبيل، وفي كلمة الله سيجدون ذلك النور هو ذلك السراج. وكل من يسير على ذلك النور لا يضل ولا يعثر أو يسقط. قال روبرت ج. لي مرة "إن الكتاب المقدس إذا قورنت به الكتب الأخرى تظهر ضئيلة الأهمية، وقد كان دائماً مصدر نور وقوة في حيرتي ويأسي".

3. نار

"أليست هكذا كلمتي كنار يقول الرب" (أرميا 23:29). النار عامل مطهر ومدمر. توضع المعادن في النار لكي يحترق ما يخالطها من أقدار وهكذا تتنقى المعادن وكذلك كلمة الله لها فعاليتان أيضاً. إنها عامل يطهر ويدمر إنها للذين يرفضونها رائحة موت لموت ولكنها لأولئك الذين يخضعون لها رائحة حياة حياة. من المحتمل أن النبي كان يؤكد على القوة المطهرة للكلمة. بينما رأى مرنم المزامير قوة كلمة الله المزكية عندما يقول "بم يزكي الشاب طريقه؟ بحفظه إياه حسب كلامك" (مزمور 9:119).

4. مطرقة

لاحظ النبي أن كلمة الله لم تكن كمنار فقط ولكن كمطرقة أيضاً "وكمطرقة تحطم الصخر" (أرميا 29:23). إن يوم الخميس بالإنكليزية "ثيرزدي" وذلك نسبة للإله "ثور" عند الشعوب السكندينية. وقد لهذا الإله ثلاث ميزات بها يعمل: حزام يضاعف قوته: زوج من القفازات ومطرقة لا يستطيع إنسان رفعها. وبهذه المطرقة الهائلة كان يحطم العمالقة ويربح الانتصارات.

هذه خرافة ولكنها ليست خرافة بالنسبة لكلمة الله، فهي مطرقة هائلة تفتت الصخور. وقلوب غير المؤمنين وصفت بكلمة الله بقلوب صخرية وكلمة الله هي المطرقة التي تفتت مثل هذه الصخور. وبقوة الكلمة تصبح القلوب الصخرية قلوب منكسرة منسحقة.

ذهب أحدهم ليستمع إلى الواعظ د.ل. مودي آملاً أن يجد ما ينتقده في العظة. ولكنه عاد إنساناً آخر وقد وصف حالته هذه بقوله "لقد وقف مودي يسحقني بأية من الكتاب إثر آية حتى نفذ إلى عظامي.

5. سيف

و "سيف الروح الذي هو كلمة الله" (أفسس 6:17) وهذا يعني أما السيف الذي يستعمله الروح أو السيف الذي يقدمه الروح، وكلا المعنيين صحيح. كلمة الله هي السيف الذي يستعمله الروح للتبكي والتجديد والتقديس. بهذه الكلمة يعزي القلوب الحزينة ويمنح الشجاعة للأرواح البائسة.

ولكن كلمة الله هي أيضاً السيف الذي يضع الروح بيد المحارب المسيحي. إنها سلاحه في الدفاع والهجوم. الكلمة هي التي تجابه التجربة وتقهرها.

لقد أعطانا ربنا المثل. عندما هاجمه الشيطان بأقوى تجاربه، لم يجادله المسيح ولكنه قال له "مكتوب" ثم استمر يقتبس من كلمة الله. وبعد ثلاثة تجارب انسحب الشيطان مقهوراً. أما ناظم المزامير فيجد خير طريقه لصد التجارب وهي "خبأت كلامك في قلبي لكيلا أخطئ إليك" (مزمور 11:119).

إن كلمة الله للمسيحي هي سلاح للمهاجمة. بهذا السيف عليه أن يتقدم ويربح الانتصارات. سنة 1870 وقف مرسل من مواطني جزر الهاواي أمام جمهور غفير من الشعب بينهم أعضاء من العائلة المالكة والشخصيات البارزة. ثم رفع نسخة من كلمة الله وقال "ليس بالبارود والقنابل، ليس بالسيف أو المدافع ولكن بكلمة الله الحية وروحه سنمضي قدماً لفتح هذه الجزائر للمسيح". وبهذا السيف الهائل، على الكنسية أن تربح العالم للمسيح. إن كلمات الوعظ التي فاه بها بولس للواعظ الشاب منذ أمد بعيد ما زالت تدوي عبر الأجيال وتردد على مسامع المبشرين في يومنا هذا: "أكرز بالكلمة".

حقاً عن الكتاب المقدس لكتاب عجيب.

أسئلة للمراجعة والامتحان

- 1- ماذا نعني بوحى الكتاب المقدس؟
- 2- ما هي بعض البراهين على وحي الكتاب المقدس؟
- 3- ناقش موضوع سلطة الكتاب المقدس.
- 4- اذكر بعض التشبيهات التي استعملت لوصف الكتاب المقدس.

الفصل الثاني الإله الواحد الحق

"لأني أنا الله وليس آخر" (أشعيا 45:22)

إن الاعتقاد بوجود كائن إلهي يكاد يكون اعتقاداً عالمياً. هناك أقلية في العالم تنكر وجود إله. ويصف الكتاب مثل هؤلاء بأنهم جهلة: "قال الجاهل في قلبه ليس إله" (مزمور 1:53). كل ما هو حولنا أو ما هو فوقنا يصرخ بالشهادة بوجود الله: "السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه" (مزمور 1:19).

يُروى عن نابليون أنه كان جالساً ذات مساءً يصغي لنقاش يدور بين ضباطه وقد أخذ بعضهم يهزأ بالأمور الدينية بينما ذهب البعض الآخر إلى أبعد من ذلك فأنكروا حتى وجود الله. فما كان من نابليون إلا أن تقدم إلى وسطهم وأشار إلى النجوم المبعثرة في القبة الزرقاء وقال: "أيها السادة ربما كنتم على حق فيما تقولون، ولكن، إن كان الأمر كما تقولون، فمن هو صانع هذه النجوم؟"

فيما يعترف معظم البشر بوجود الله فإنهم يختلفون كثيراً في إدراكهم له. فبعضهم جسمت لهم تصوراتهم إلهاً حسب مقتضى أهوائهم ورغباتهم. وبعضهم ينظرون إلى الله نظرهم إلى إنسان "السوبرمان" أي الإنسان الأسمى المتفوق فيعطونه شكل الإنسان وطبيعته. وآخرون ينظرون إليها نظرهم إلى قوة مبهمة تشمل الكون بأكمله لكن لنا مرجعاً واحداً نستطيع أن نرجع إليه لنذكر الله إدراكاً صحيحاً وذلك هو الكتاب المقدس ففيه يكشف الله لنا عن ذاته.

إن الكتاب لا يقوم بأي مجهود ليثبت وجود الله. لكنه يبتدئ بالقول "في البدء خلق الله السموات والأرض" ففي بدء ماذا؟ من البديهي أن الكلمات تشير إلى بدء ما ندعوه "الزمن" بدء الكون المادي.

ما الذي يظهره الكتاب المقدس عن الله؟

اسم الله

عندما نستعمل كلمة الله لا يخالج أحدنا الشك عما نعنيه. أننا نعني ذلك الكائن الأسمى الأوحى باري كل الأشياء وربّها. أمّا الأقدمون فقد كانوا يعتقدون بأن للكون آلهة عديدة وبولس يقول "لأنه وإن وجد ما يسمى آلهة سواء كان في السماء أو على الأرض كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون" (1 كورنثوس 8:5). فقد كان لكل أمة إلهها الخاص بها، وقد عبد بعضهم آلهة عديدة أطلقوا عليها عدة أسماء. لقد أطلق الله على ذاته اسماً به يعرف ويتميز عن الآلهة الأخرى، "أنا الرب (يهوه) هذا اسمي" (أشعيا 42:8). إن لفظة "الرب" حيثما ترد في العهد القديم هي في الغالب الترجمة التي اختارها المترجمون للفظه "يهوه" العبرية.

لقد كشف عن هذا الاسم أولاً لموسى عندما أمره بأن يقود بني إسرائيل من العبودية. "هكذا تقول لبني إسرائيل، يهوه إله أباكم إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب أرسلني عليكم. هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور" (خروج 3:15). وفي سفر الخروج 2:6 - 3 يقول أنه لم يعرف بهذا الاسم من قبل. "ثم كلم الله موسى وقال له أنا الرب (يهوه) وأنا ظهرت لإبراهيم واسحق ويعقوب وبأني إله القادر على كل شيء وأما باسمي يهوه فلم أعرف عندهم".

والحقيقة أنهم عرفوا شيئاً عن هذا الاسم لأن إبراهيم قد دعا المكان الذي كان مزمعاً أن يقدم فيه إسحق ذبيحة "يهوه يرأه" (تكوين 14:22). ولكنهم لم يفهموا المعنى الكامل لهذا الاسم. فقد اتخذ معنىً جديداً عندما ظهر موسى. لقد كان هذا الاسم اسم عهد فدائه.

هناك أشياء كثيرة يجب ملاحظتها حول هذا الاسم الذي أطلقه الله على ذاته.

1. اسم شخصي

اعتقد الناس قديماً بألهة كثيرة. فكان لكل أمة إلهها الخاص. لكل من هذه الآلهة اسم شخصي يعرف به، فإله الموائين كان يدعى "كموش" وإله العمونيين "مولك" وإله الصيدونيين "البعل" ولكن اسم إله العبرانيين كان يهوه. "أنا الرب (يهوه) هذا اسمي".

2. اسم وصفي

كانت الأسماء الوصفية الدالة على خلق أو مزية تطلق على الناس في تلك الأيام فاسم يعقوب أطلق على الابن الثاني المولود لإسحق ورفقة ويعني هذا الاسم أنه أخذ محل شخص آخر بالخداع ثم أبدل باسم إسرائيل عندما أصبح من عظماء الله. وعلى هذا الغرار كان اسم الرب اسماً وصفيّاً لله فهو يحمل في طياته معنى الكائن الخالد ذي الطبيعة غير المتغيرة أو المتحولة فعندما سأله موسى أي اسم يطلقه عليه عندما يخبر بني إسرائيل بأن "إله أباكم أرسلني إليكم" (خروج 3:14) وهذا الاسم يشتق من ذات المصدر الذي اشتق منه يهوه. يهوه هو أهيّة الكائن العظيم الذي لا فرق فيه بين

ماضٍ وحاضر ومستقبل. إنه الواحد السرمدى. إنه الإله الأزلي الإله غير المتحول، هو هو أمس واليوم وإلى الأبد. "منذ الأزل إلى الأبد أنت الله" (مزمور 2:90).

3. اسم مقدس

عندما أعطى الله وصاياه لإسرائيل قال: "أنا الرب (يهوه) إلهك" (خروج

2:20) وفي الوصية الثالثة

قال " لا تنطق باسم الرب (يهوه) إلهك باطلاً لأن الرب (يهوه) لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً" (خروج 7:20). وعندما علمنا يسوع صلته النموذجية قال "أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك" (متى 9:6). لأن اسمه كان اسماً مقدساً لدرجة أن اليهود تهيّبوا أن يلفظوه بشفاهم وكانوا يستخدمون كلمة "السيد" بدلاً منه.

4. اسم تذكاري

قال الله لموسى عندما أظهر اسمه "هذا اسمي للأبد وهذا ذكرى إلى دور فدور". لقد كان ذكر إحساناته لبني إسرائيل عندما أعتقهم من ربقة العبودية حتى كل ما ذكروا اسمه في الأجيال التالية تذكروا كيف فداهم في مصر، الذي كان رمزاً لعمله الفدائي في الجلجثة.

طبيعة الله

أي كائن هو الله؟

1. بعض الكلمات الوصفية

إننا نجد في الكتاب المقدس أربع عبارات صريحة تصف الله.

(1) الله روح. هذه هي العبارة التي فاه بها يسوع "الله روح" (يوحنا 24:4). الله ليس إنساناً عظيماً بجسد من لحم ودم. إنه كائن روحي. وهو مجرد من كل الحدود التي يفرضها الجسد.

إن بعض الفقرات التي استعملت في وصف أعضاء الله الجسدية كالذراع والعينين واليدين أدت بالكثيرين لأن ينظروا إلى الله كمن له جسد شبيه بجسدنا. والبعض يتصورنه شيخاً جليلاً عرشه في سماواته. إنه ليصعب على العقول المحدودة أن تفكر بالله دون أن تلتصق به شكلاً من الأشكال الجسدية – ولكن مثل هذا الكائن لا بد أن يكون محدود بأمور كثيرة. الله روح فهو إذن مجرد من كل الحدود.

وبما أنه روح فالله إله حي. وقد وصف هكذا في الكتاب "أما الرب الإله فحق. هو إله حي" (أرميا 10:10). "وكيف رجعتم إلى الله من الأوثان لتعبدوا الله الحي الحقيقي" (1 تسالونيكي 9:1). وبما أنه إله حي لا يحوي الحياة في ذاته فقط ولكنه منبع الحياة ومصدرها وبما أنه روح فالله إله شخصي وكائن بار ذو وعي وإرادة ذاتيين. ونحن غالباً نربط الشخصية بالجسد. فالشخص كائن نستطيع أن نراه. أما الشخصية فلا تختص بالجسد ولكنها تختص بالروح. وبما أن الله كائن شخصي يمكننا أن تكون لنا شركة معه.

(2) الله نور. هذا هو الوصف الذي أسبغه يوحنا على الله. "الله نور وليس فيه ظلمة البتة" (1 يوحنا 5:1). الظلام رمز الجهل والخطأ والخطية. والنور يرمز إلى الحكمة والطهارة والله كائن كلي الحكمة وكلي الكمال.

(3) الله محبة. كلمة أخرى من الكلمات التي استعملها يوحنا هي "محبة" (1 يوحنا 4:8). إن الله العظيم القدوس هو أيضاً إله محبة هذه السجية من سجايا الله تمنح الأمل للقلب الخاطيء. إن معرفة الله كإله كلي القوة والقداسة فقط تجعل الفرد في خوف ورهبة دائمين ولكن المعرفة أن هذا الإله العظيم القدوس هو إله محبة، توحد شعلة الأمل في القلب.

لقد ظهرت محبة الله بعدة طرق ولكن أسمى مظاهرها هي أنه وهبنا ابنه: "بهذا أظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به" (1 يوحنا 4:9). وهناك عدة اختبارات قد تترك الإنسان مشككاً في محبة الله، ولكن ما من أحد يستطيع الوقوف أمام صليب الجلجثة ويبقى فيه أي شك "ولكن الله بين محبته لنا لأنه وبعد خطاة مات المسيح لأجلنا" (رومية 8:5).

(4) الله نار آكلة. إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين في 29:12 قد اقتبس من سفر التثنية 24:4 "لأن الرب إلهك هو نار آكلة". الله ليس فقط إله محبة، ولكنه إله بر أيضاً. يعظم بعض الناس محبة الله ولكنهم يتجاهلون بره. فصاحب المزامير يصوره إلهاً غير متناهي المحبة "الرب رحوم ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة" (مزمور 8:103). ولكنه في غلاطية 7:6 نقرأ "لا تضلوا الله لا يشمخ عليه. فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً". لا يستطيع البشر أن يستهينوا بالله ثم يتصلوا من دينونة بره.

2. الله غير محدود

ربما كانت أجمل كلمة تصف الله هي أنه غير محدود والتي تعني أن لانهاية له ولا حدود.

(1) سرمدي. ليس لله بداية ولا نهاية إنه الإله سرمدي. "منذ الأزل إلى الأبد أنت الله" (مزمور 2:90). لأن وجود كائن دون بداية أمر فوق العقل البشري، وكثيرون هم الذين عثروا بهذا الأمر. "من أين جاء الله؟" سؤال طالما تردد على أفواه الناس. إننا نتكلم عن مستقبل أبدي، مستقبل بلا نهاية. وأملنا أن نحيا إلى الأبد. إن الاعتقاد بماضٍ لا بداية له وكذلك فهمنا إن الله قد كان منذ الأزل وأن لا بداية له ليس أصعب من فهمنا أننا سنحيا حياة أبدية لا نهاية لها. إن الله لا يحده زمان: "لأن ألف سنة في عينيك مثل يوم أمس بعدما عبر" (مزمور 4:90). "إن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة وألف سنة كيوم واحد" (2 بطرس 8:3).

(2) كلي الوجود. إن الله كلي الوجود. وهذا لا يعني أنه منتشر في الكون بأسره، لكن الله بكامله حاضر في كل مكان. هناك عبارات في الكتاب المقدس تظهر وكأنها هي تحصر وجود الله في مكان معين "أبانا الذي في السموات" (متى 9:6). "يا ساكناً في السموات" (مزمور 1:123). "الرب في السموات ثبت كرسيه" (مزمور 19:103). إن هذه العبارات يجب أن ننظر إليها كتعبير رمزية تماماً كتلك التي تتكلم عن ذراعيه أو يديه. لا يمكننا أن نحصر الله بمكان أو في مكان.

إن في الكتاب المقدس عدة آيات تعلن أن الله حاضر في كل مكان. "أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب. إن صعدت إلى السموات فأنت هناك وإن

فرشت في الهاوية فيها أنت. إن أخذت جناحي الصبح وسكنت في أقاصي البحر فهناك أيضاً تهديني يدك وتمسكني يمينك" (مزمور 139:7-10). "مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد" (أعمال 17:27-28).

(3) كلي المعرفة. إن الله إله كلي المعرفة. وهو يعلم كل شيء، يعلم الماضي والحاضر والمستقبل. وهو يعلم بكل شيء ويعرف عن كل شيء ويعرف عن كل مخلوق. لا شيء يخفى عليه. وقد قال صاحب المزامير "أنت عرفت جلوسي وقيامي. فهمت فكري من بعيد مسلكي ومربضي ذريت وكل طريقي عرفت. لأنه ليس كلمة في لساني إلا وأنت يا رب عرفت كلها" (مزمور 139:2-4).

(4) كلي القدرة. إن الله كلي القدرة يملك كل القوى. "مرة واحدة تكلم الرب وهاتين الاثنتين سمعت أن العزة لله" (مزمور 11:62). وفي أكثر من مرة صرح الكتاب بأن ليس شيء غير ممكن لدى الله. وهذا ما يقوله الله عن نفسه "هأنذا الرب إله كل ذي جسد. هل يعسر علي أمر ما؟" (أرميا 27-32). وهذا ما قاله يسوع. "هذا عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كل شيء مستطاع" (متى 26-19).

وبالطبع هذا لا يعني أن الله يستطيع أن يعمل أشياء تضاد طبيعته. فقد أعلن بولس أن الله لا يستطيع أن يكذب. "على رجاء الحياة الأبدية التي وعد بها الله المنزه عن الكذب قبل الأزمنة الأزلية" (تيطس 1:2). كما أنه لا يعني أن الله يستطيع أن يعمل أشياء تناقض بعضها بعضاً. لأن هذا يعني إنكار طبيعته. والدكتور مولنيز

يوضح الحقيقة بهذا الصدد بقوله "قولنا أن الله قدير يعني أن قوته غير المحدودة تعمل أي شيء وكل شيء يتفق وطبيعته وهدفه".

3. الله أب

هناك إشارات في تاريخ العهد القديم إلى الله كأب "أبو اليتامى وقاضي الأرمال الله في مسكن قدسه" (مزمور 5:68). "أسيرهم إلى أنهار ماء في طريق مستقيمة لا يعثرون فيها. لأني صرت لإسرائيل أباً" (أرميا 9:21). "فإن كنت أنا أباً فأين كرامتي" (ملاخي 6:1). غير أن المسيح هو الذي بسط حقيقة أبوة الله بكل كمالها وجمالها.

ماذا نعني بقولنا أن الله أب؟ إن سوء الفهم وسوء التفسير لهذا الأمر قد قادا إلى أخطاء جمة.

(1) علاقة خلق. هناك معنى بأن الله هو أبٌ للجميع وفي هذا يقول بولس "لأننا أيضاً ذريته فإذا نحن ذرية الله لا ينبغي أن نظن أن اللاهوت شبيه بذهب أو فضة أو حجر نقش صناعة واختراع إنسان" (أعمال 17:28-29). الله أب للجميع بمعنى أنه خالق الجميع وحافظهم ومن هذه الحقيقة رسم البعض التعليم القائل بخلص الجميع والذي يناقض كلمة الله.

(2) علاقة الفداء. إن الله - بتعبير خاص - أبٌ لأولئك الذين أصبحت لهم علاقة روحية بيسوع المسيح. "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه" (يوحنا 1:12).

والكتاب المقدس يذكر ثلاث طرق بها يصبح الفرد ابناً روحياً لله أو بالأحرى هي جوانب ثلاثة للاختبار نفسه.

أولاً، نصبح أبناء بالإيمان "لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع" (غلاطية 3:26). ما من أحد يستطيع أن يكون ابناً حقاً لله إلا إذا وضع ثقته بالمسيح يسوع.

ثانياً، نحن أبناء الله بالولادة الروحية. "الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله" (يوحنا 1:13). فالإنسان يصبح ابناً لله باختيار التجديد أو الولادة الجديدة فقط.

ثالثاً، نحن أبناء الله بالتبني. "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أباً الآب" (رومية 8:15).

فأبوة الآب للمؤمنين هي من أكثر التعاليم تعزية في الكتاب المقدس فهذا التعليم يعني أن الله الكلي الحكمة والقوة بالذات هو أبونا الخاص وكأبناء لله فنحن محاطون بمحبته وعنايته الدائمين "وأكون لكم أباً وأنتم تكونون لي بنين وبنات يقول الرب القادر على كل شيء" (2كورنثوس 6:18). وكأبناء لله "فنحن ورثة الله ووارثون مع المسيح" (رومية 8:17).

الله المثلث الأقانيم

يظهر الله في الكتاب المقدس إلهاً مثلث الأقانيم أي ثالوثاً. إن كلمة الثالوث في الأسفار المقدسة فقد استعملها ترتوليانس في القرن الثاني ليظهر حقيقة الله في ثلاثة أقانيم. إن الثالوث هو من أعظم الأسرار إطلاقاً ولم نكن لنعرفه لو لم يعلن في الأسفار

المقدسة. هذا التعليم لَمَّح إليه العهد القديم وظهر جلياً في العهد الجديد. وهناك حقيقتان
ضمنيتان في الثالوث.

1. إله واحد

هذه الحقيقة المذكورة عدة مرات في الكتاب المقدس: "اسمع يا إسرائيل الرب
إلهنا إله واحد" (تثنية 4:6). "هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه رب الجنود. أنا
الأول وأنا الآخر ولا إله غيري" (أشعيا 6:44). "نعلم أن ليس وثن في العالم وأن
ليس إلا واحداً" (1 كورنثوس 4:8) وهكذا فالتعليم القائل بالتثليث لا يعني أن لنا
ثلاثة آلهة.

2. في ثلاثة أقانيم

إن الله الواحد موجود ، ويظهر ذاته بطريقة مثلثة: الآب والابن والروح
القدس. فمن أجل تعبير أفضل وأوضح نقول بثلاثة أقانيم في اللاهوت. هؤلاء الثلاثة
واحد في الجوهر متميزون بشخصياتهم.

إن أياً من هذه الأقانيم الثلاثة في الله لا يعمل منفرداً عن الأَقنومين الآخرين.
ومع ذلك فقد كان هناك ثلاثة مظاهر لمعاملة الله للجنس البشري

(1) الآب. لدينا القصة الجزئية لظهوره في العهد القديم. كما كان هناك
ظهورات خاصة للروح القدس وربما للابن أيضاً في شخص "ملاك الرب" ولكنه كان
دائماً "الرب الإله" الذي يتعامل مباشرة مع الجنس البشري. هذا الظهور تميز بثلاث
وجهات.

أولاً، كان الله غير منظور لا يستطيع البشر رؤيته. كما أنه كان يرسل بين الحين والآخر ملائكة لمخاطبة البشر ولكنه لم يسمح لإنسان قط أن يرى الله ذاته. التمس موسى هذا الامتياز، ولكن كل ما منحه الرب كان أن يقف في ثغرة في الصخرة ويرى مجد الله مجتازاً (خروج 18:33-23). كما نقرأ في يوحنا 18:1 ما نصه "الله لم يره أحد قط".

ثانياً، لم يقترب الله من الإنسان بل كان يتعامل معه عن بعد. حل على رأس الجبل متحجباً بالغيوم والدخان، وخاطب موسى. أما فيما يتعلق بالشعب كمجموعة فقد قال "احترزوا من أن تصعدوا إلى الجبل أو تمسوا طرفه، كل من يمس الجبل يقتل قتلاً" (خروج 12:19).

وعندما بنيت خيمة الاجتماع وعد الله بأن يكون في قدس الأقداس ولم يسمح لأحد غير رئيس الكهنة بالدخول إليه، وحتى هذا الامتياز لم يمنح له أكثر من مرة واحدة في السنة.

ثالثاً، قداسة الله كانت المزية الإلهية المشدد عليها. فقد قال مرنم المزامير "يحمدون اسمك العظيم والمهوب. قدوس هو" (مزمور 3:99). وكما قال في مكان آخر "علوا الرب إلهنا واسجدوا عند موطئ قدميه. قدوس هو" (مزمور 5:99). وفي رؤيا أشعيا للرب في الهيكل سمع السرافيم يرتلون "قدوس قدوس رب الجنود" (أشعيا 3:6).

(2) الابن. إن لنا في الأناجيل الأربعة سجلاً وافياً. ففي هذه المرة الله الابن هو الذي يتعامل مع الناس مباشرة. كما أن هذه الفترة موسومة بمظاهر ثلاثة أيضاً. أولاً، بمجيء المسيح وجد الناس إلهاً منظوراً، إلهاً باستطاعتهم أن يروه. فقد قال يسوع لتلاميذه "الذي رأي فقد رأى الأب" (يوحنا 9:14). كما نجد في يوحنا 18:1 هذه الكلمات "الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبير". وهكذا نرى أن الله الغير منظور قد أصبح منظوراً في المسيح يسوع. ثانياً، اقترب الله من الإنسان. إنه في شخص ابنه قد انحدر من على السحب ليقرب إلى الناس ويلتصق بهم. "والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجدداً كما لوحد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً" (يوحنا 14:1). فبالمسيح يسوع حلّ الله وساكن البشر وخاطبهم وجهاً لوجه.

ثالثاً، لقد ازدادت محبة الله وضوحاً. كما أن أجمل ما قيل في هذه الفترة هم في انجيل يوحنا 16:3 "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد". إن الله، ذا الاسم العظيم الرهيب كما وصفه مرثم المزامير، أصبح أباً محباً لأبنائه المؤمنين.

(3) الروح القدس. هذا الظهور ابتداءً بالحوادث التي سُجّلت في سفر الرسل في الأصحاح الثاني وظل مستمراً إلى يومنا هذا. عندما كان يسوع يخاطب تلاميذه بخصوص مغادرته للأرض قال "وأنا أطلب من الآب فيعطىكم معزياً آخر ليملك معكم إلى الأبد روح الحق" (يوحنا 16:14 - 17).

لقد اقترب الله أكثر إلى أبنائه في شخص الروح القدس. إنه لا يمكنهم فقط ولكنه يسكن فيهم. "لأنه ماكن معكم ويكون فيكم" (يوحنا 14:17). بالروح أصبحت قوة الله ظاهرة. فقد قال الرب المقام لتلاميذه "أنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم" (أعمال 1:8).

عمل الله

يمكننا تفصيل عمل الله بثلاث نقاط رئيسية:

1. خلق العالم

يتدأ الكتاب المقدس "في البدء خلق الله السموات والأرض" ثم يلي ذلك قصة الخليقة فترينا المراحل المختلفة التي مرت بها. فقد كانت الخليقة على نوعين، أشياء لا حياة لها وأشياء حية. والأشياء الحية كانت على نوعين، نبات وحيوان. وحياة الحيوان أيضاً كانت على نوعين، دنيا وهي الحيوانات العجماوات وعليا وهي الإنسان.

وهنا يبرز لنا سؤالان عما يتعلق بالخليقة.

(1) طريقة الخلق. كيف صنع الله العالم وكل ما فيه؟ وهناك عدة نظرات في الأمر إلا أننا منجذبون إلى تلك العبارة البسيطة "الله خلقه". إن كلمة "خلق" تحمل معها فكرة إيجاد شيء لم يكن موجوداً. لقد استعملت هذه الكلمة لله وحده في الأسفار المقدسة. ولم يقل قط عن إنسان أنه خلق شيئاً. إنه لأمر هام الإشارة إلى أن كلمة "خلق" تردت ثلاث مرات في قصة الخلق.

أولاً، فيما يتعلق بالأشياء المادية. "في البدء خلق الله السموات والأرض" (تكوين 1: 1) وليس هناك تعليل آخر لأصل المادة.

ثانياً، فيما يتعلق بخلق حياة الحيوان. "فخلق الله التنانين العظام وكل ذوات الأنفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه" (تكوين 1: 21). وليس هناك أيضاً تعليل آخر لأصل الحياة الحيوانية.

ثالثاً، فيما يتعلق بخلق الإنسان. "فخلق الله الإنسان على صورته" (تكوين 1: 27). وليس هناك تعليل آخر لأصل الإنسان. فقد خلق الله الكون المادي وخلق الله الحيوان كما أنه خلق الإنسان.

ولكن كيف خلق الله هذه الأشياء؟

إن الكتاب المقدس يعطينا الحقيقة على بساطتها دون أن يظهر لنا الأسلوب بأكثر من أن "قال ليكن فكان...".

"وقال الله ليكن نور فكان نور" (تكوين 1: 3).

"وقال الله ليكن (الجلد) فاصلاً بين مياه ومياه. فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد وكان كذلك" (تكوين 1: 6 - 7).

"وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة وكان كذلك" (تكوين 1: 9).

"وقال الله لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبزر بزرّاً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه بزره فيه على الأرض وكان كذلك" (تكوين 1: 11).

هذه هي العبارة التي تتردد في قصة الخليقة كلها: "وقال الله فكان كذلك".
أما صاحب المزامير فيصف لنا الخليقة هكذا "بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة
فيه كل جنودها" (مزمو 33: 6) "لأنه قال فكان. هو أمر فصار" (مزمو 33: 33).
(9).

هذا ويتفق الكاتب إلى العبرانيين مع مرثم المزامير في تعليل الكون "بالإيمان
نفهم أن العالمين أتقتت بكلمة الله حتى لم يتكون ما يرى مما هو ظاهر" (عبرانيين 11: 3).
(3).

(2) زمن الخلق. كم من الوقت قضى الله في خلق كل الأشياء؟ تقول
الأسفار المقدسة أن الخليقة قد أكملت في ستة أيام: "لأن في ستة أيام صنع الرب
السماء والأرض والبحر وكل ما فيها" (خروج 20: 11). ترى هل كانت تلك
الأيام تعادل في طولها أيامنا ذوات الأربع والعشرين ساعة، أم كانت تشير إلى فترات
زمنية غير محدودة؟

إن تعبير "مساء وصباح" قد فسرهُ البعض بمعنى أن الأيام كانت في طولها
كأيام الأسبوع. وقد يكون التفسير الآخر أكثر انطباقاً على كل الحقائق. فكلمة "يوم"
قد استعملت مرات عديدة في الأسفار المقدسة لتدل على زمن غير محدد كما في "يوم
الرب" و "يوم الخلاص" و "يوم الغضب" الخ .. استعملت كلمة يوم في سفر التكوين
2: 4 لتحوي كل الخليقة. "يوم عمل الرب الإله الأرض والسموات".

إن "كيف" و "متى" في الخليقة ليستا مهمتين كحقيقة أن الله صنعها بطريقته الخاصة وفي وقته هو.

2. حفظ العالم

ليس الله صانع كل الأشياء فحسب ولكنه حافظها وضابطها أيضاً فهو لم ينسحب من الكون بعد أن خلقها. لكنه وضع أنظمة خاصة يسيّر بها الكون إلا أنه غير مقيد بهذه الأنظمة التي وضعها لأنه إذا رأى مناسباً أن ينسخها لأي مقصد فهو قادر على ذلك فللخوارق مكان في خطة الله.

إن الله قصداً يريد أن يتممه في الخليقة أو بواسطتها. إن يده هي التي توجه الكون. قد تظهر بعض أعماله غريبة كما أن أعمال عنايته الإلهية غير مفهومة دائماً ولكن لنا الإيمان الذي يجعلنا نعتقد بأن الله يعرف كل شيء وإن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله" (رومية 8: 28).

"لماذا يسمح الله للخطية أن تدخل خليقته ولماذا يسمح للشر أن يستمر في العالم؟" هذا السؤال طالما تردد على ألسنة الناس. لكنه سؤال ليس له جواب محدد يستوعبه عقل الإنسان المحدود. كما أن الله لم ير مناسباً أن يعطينا جواباً. ولكن هناك ثلاث حقائق نستطيع أن نتأكد منها.

أولاً، لا يستطيع الشر أن يحدث بدون سماح الله به فالشيطان لم يستطع أن يضايق أيوب حتى سمح له الله بذلك.

ثانياً: إن الله أيضاً يحدد المدى الذي يستطيع الشرب أن يمتد إليه فالشيطان بمضايقته أيوب لم يستطع أن يذهب لأبعد من المدى الذي سمح به الله.
ثالثاً: إن الله غالباً ما يحوّل ما كان يقصد به شراً إلى خير وبركة. فقد قال يوسف لإخوته "أنتم قصدتم لي شراً أما الله فقصد به خيراً لكي يفعل كما اليوم ليحي شعباً كثيراً" (تكوين 50: 20). وقال مرثم المزامير "لأن غضب الإنسان يجمدك" (مزمور 76: 10).

يجدر بنا ونحن نبحث في عناية الله أن نقول كلمة عن الملائكة. لقد خلق الملائكة قبل خلق العالم وهم كثر في عددهم. وقد وصفوا بأنهم أرواح خادمة. "أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عبرانيين 1: 14). يستعمل الله الملائكة لتنفيذ خطط عنايته الإلهية "لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك. على الأيدي يحملونك لئلا تصطدم بحجر رجلك" (مزمور 91: 11 - 12).

3. الخلاص

عجيبه حقاً هي الخليقة الأولى. ولكن الأعجب منها هي خليقته الجديدة. "إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة" (2 كورنثوس 5: 17).
إن الإنسان الذي خلقه الله على صورته أخطأ ضد الله وسقط من علياء مركزه جالباً الخراب لنفسه ولكل الجنس البشري. ولكن الله برحمته لم يتركه لمصيره.

لكنه يسر له طريقة للخلاص بإرساله ابنه إلى العالم ليفدي الإنسان من الخطية بموته الكفاري على الصليب.

إن موضوع الخلاص بكامله سيبحث في فصل آخر، ولكننا سنؤكد هنا بأن الخلاص هو عمل الله. فالله هو الذي أخذ زمام المبادرة في الخلاص، وهو الذي وضع خطة الخلاص والله هو الذي يخلص بنعمته. قال مرثم المزامير "للرب الخلاص" (مزمور 3: 8)، وأعلن بولس "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله" (أفسس 2: 8). وفي الأصحاح ذاته والعدد العاشر منه نرى هذه العبارة. "لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع."

"فليحمدوا الرب على رحمته وعجائبه لبني آدم" (مزمور 107: 8).

أسئلة للمراجعة والاختبار

- 1- ما هي الكلمات الأربع التي تصف الله في الكتاب المقدس؟
- 2- ماذا نعني بقولنا أن الله غير محدود؟
- 3- ما الذي نعنيه بالثالوث؟
- 4- ما هو عمل الله الثلاثي؟

الفصل الثالث تاج الخليقة

وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا (تكوين 1: 26)

الإنسان، هو الاسم الذي أطلقه الله على أسمى خلائقه وهو بالعبرية "آدم" وهذه الكلمة ليست اسماً علماً كقايين أو هابيل ولو أنها استعملت أحياناً كذلك كما في سفر أخبار الأيام الأول 1: 1، و "آدم" كلمة عبرية ترجمت بكلمة "إنسان".
وكلمة "آدم" لا تعني "الرجل" أي للتمييز بين الذكر والأنثى. فهناك كلمة أخرى للدلالة على هذا المعنى أما آدم فإنها تعني كلا الجنسين الرجل والمرأة. أي أنها أطلقت لتعني الجنس البشري وهذا واضح في عبارة سفر التكوين 1: 27: "فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم."
قد ترددت الحقيقة ذاتها في سفر التكوين 5: 1 - 2: "يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله ذكراً وأنثى خلقه وباركه ودعا اسمه آدم يوم خلق" أما المعنى الجذري للكلمة فهو "التراب الأحمر" وقد يدل هذا على حقيقة خلقه من تراب الأرض.

والقصة الواردة في سفر التكوين تظهر عدة حقائق عن البشر.

مصدر الإنسان

من أين جاء الإنسان؟ إزاء هذا السؤال يقف العلم دون جواب شاف. إن النظريات العديدة التي وضعت جواباً عن هذا السؤال لم تزد عن كونها نظريات لا برهان على صحتها. ولكن الجواب الصحيح عن هذا السؤال يقدم لنا عن طريق

الإعلان الإلهي بمفرده وهذا الجواب هو أن الله خلقه. وفي سفر التكوين 1: 27 يتردد ذكر خلق الله للإنسان ثلاثة مرات.

1- حقيقة الخلق

ورد في قصة التكوين ثلاثة أوصاف لخلق الإنسان. الوصف الأول في تكوين 1: 27 وفيه حقيقة خلقه. والثاني في تكوين 2: 7 ويصف كيفية خلقه. والثالث في تكوين 2: 21 - 22 ويبين كيفية خلق المرأة. ووردت قصة خلق الإنسان مرة أخرى في تكوين 5: 1 - 2.

2- كيفية الخلق

بينما نرى حقيقة خلق الإنسان تتردد عدة مرات نجد الطريقة التي بها صنع الله الإنسان غير واردة بوضوح. إن معظم ما نعرفه مدون في سفر التكوين 2: 7 "وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية". لقد اشتملت عملية الخلق على مرحلتين. المرحلة الأولى مرحلة خلق الجسد "وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض" أي أن الجسد صنع من مواد موجودة آنفاً. وبالإمكان تحليل جسد الإنسان والتثبت من نسبة المواد التي يركب منها. أما كيف جبل الله جسد الإنسان فغير واضح.

المرحلة الثانية من خلق الإنسان تشير إلى روحه أو طبيعته الروحية "ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية" وهذا بالطبع يعني أكثر من الحياة التي منحت للحيوانات إن الله قد منح الإنسان شيئاً من ذاته.

فيما نورد هذين الرأيين في خلق الإنسان، علينا ألا نفكر بأن الله قد جمع كرامة من التراب ثم مثل بها شكل إنسان ثم نفخ فيها الحياة! ففي وصف هذا الأمر يقول دلتش "إن صنع الإنسان من التراب ونفخ نسمة الحياة فيه يجب ألا يفهما فهما ميكانيكياً كأنما الله بنى أولاً شكلاً آدمياً من التراب ثم نفخ نسمة الحياة في هذه الكتلة الترابية التي صنعها على هيئة الإنسان جاعلاً منها كائناً حياً... وبقدرته الإلهية الغلابة قام الإنسان من التراب وفي ذات اللحظة التي بها أصبح التراب بقوة الله الخلاقة الغلابة على شكل إنسان منح نسمة الحياة الإلهية وخلق كائناً حياً. وهكذا لا يمكننا القول أن الجسد خلق قبل الروح.

أما أصحاب نظرية النشوء والارتقاء، فيدعون بالطبع، بأن الخليقة كلها هي نتيجة أجيال طويلة من التطوير. وبأن الإنسان تطور من الحيوانات الدنيا إلى ما هو عليه الآن. أما أصحاب نظرية النشوء والارتقاء الماديون فيحذفون الله من حسابهم بالمرّة. بينما يعتقد البعض الآخر بأن جميع مراحل التطوير تمت بتوجيه من الله. على كل فإن أصحاب هذه النظرية - النشوء والارتقاء - غير متفقين بعضهم مع البعض ونظريتهم هذه بدلاً من أن تحل الأشكال وتجلو الغموض زادتها تعقيداً وغموضاً. إن المسيحي العادي مقتنع ومتأكد بأن الله خلق الإنسان وله في هذا كل الكفاية.

طبيعة الإنسان

ما هي طبيعة هذا المخلوق، الإنسان، الذي خلقه الله على مثاله؟

مزدوجة - جسد وروح

إن للإنسان كما تبين لنا من البحث السابق طبيعة مزدوجة جسدية وروحية. أي أن للإنسان جسداً ونفساً يقول بعض علماء الكتاب المقدس بأن للإنسان طبيعة ثلاثية تتألف من جسد ونفس وروح. ففي رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي 5: 23 كتب بولس "وإله السلام نفسه يقدسكم بالتمام ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح". وكتب الرسالة إلى العبرانيين يقول: "إلى مفرق النفس والروح" (4: 12). وبناء على هذا التفسير فإن كلمة "النفس" تشير إلى الإنسان ككائن حي أو كائن ذي وعي ذاتي بينما تدل الروح على انه كائن ذو إدراك بوجود الله.

على أية حال فإن كلمتي "روح" و "نفس" غير مميزتين بوضوح في الكتاب المقدس ويظهر أحياناً أنهما استعملتا مترادفتين. والدكتور أهـ سترونغ يقول "إن طبيعة الإنسان ليست بيتاً مؤلفاً من ثلاث طبقات بل بيت من طبقتين تحوي الطبقة العلوية منه نوافذ تطل على ناحيتين، نحو الأرض ونحو السماء".

إن الوصف الوارد في سفر التكوين يظهر لنا أن للإنسان طبيعة مزدوجة الجسد والنفس. والجسد والنفس يتحدان فيؤلفان شخصية واحدة. ومع أن النفس هي الجزء الأهم في الشخص فإن الجسد يجب ألا يحتقر بل على العكس يجب أن يحترم لقيمته الحقة ولكرامته. إن جسد المسيحي قد دعي هيكل الروح القدس "أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشتريتهم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم" (1 كورنثوس 6:

19 - 20). يجب ألا نهمل الجسد أو نسيء استعماله بل علينا أن نحفظه طاهراً معافى قوياً لخدمة الله.

2- على صورة الله

ينفرد الإنسان بين جميع الخلائق في أنه يحمل صورة الله. "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تكوين 1: 26) لا يظهر أن هناك فرقاً واضحاً بين "صورة" و "مثال"، فالإنسان مخلوق على شبه الله. فكيف صنع الإنسان على شبه أو مثال الله؟ هذا بالتأكيد لا يعني أنها مشابهة جسدية لأن الله روح بلا شكل جسدي فالمشابهة أذن في طبيعته الروحية.

يقترح الدكتور ملنز ثمانية أشياء تظهر كون الإنسان مخلوقاً على صورة الله. له طبيعة مفكرة، وطبيعة أدبية، وطبيعة عاطفية، وإرادة، وكيان حر، وميل إلى البر، وتسلط على الخلائق الدنيا، وخلود.

ويمكننا جمع هذه تحت ثلاث نقاط رئيسية:

(1) الشخصية: الإنسان كائن ذو عقل ووعي ذاتي وإرادة حرة. أما الحيوانات الدنيا فلها حياة ولكن ليس لها شخصية. لها غرائز خاصة تقودها إلى عمل أشياء معينة، ولكن ليس لها المقدرة على التفكير والتخطيط كما يقول المرنم: "لا تكونوا كفرس أو بغل بلا فهم" (مزمور 32: 9).

الإنسان كائن حر، متمتع بالمقدرة على اختيار الطريق التي يسلكها. إن الله لا يرغبه على أن يكون باراً، كما أنه لا يردعه عندما يختار الطريق الخاطئة، وحق الاختيار هذا قسم من الصورة الإلهية الكائنة في الإنسان.

وبما أن الإنسان كائن عاقل ذو وعي ذاتي وذو إرادة حرة فهو قادر على أن يقيم علاقات مع أخيه الإنسان وكذلك مع الله. وبما أنه شخص فهو لذلك يستطيع أن تكون له شركة مع الآخرين كما يستطيع أن تكون له شركة مع الله.

(2) الناحية الأخلاقية: إن كون الإنسان على مثال الله يعني أن الإنسان ذو طبيعة أخلاقية. فهو قادر على التمييز بين الخير والشر كما أن له الحق في أن يختار أياً منهما وهذا أمر لا ينطبق على الحيوانات الدينا. إذ أنه ليس لها أية حاسة للتمييز بين الخير والشر.

كان الإنسان عندما خلقه الله كاملاً بأخلاقه ودون أية خطية وبعد خلق الإنسان قيل: "ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً" (تكوين 1: 31). لقد كان الكل كما أراده الله أن يكون بما في ذلك الإنسان فالله الكامل لا يمكنه أن يخلق كائناً غير كامل.

(3) الخلود: إن الإنسان المخلوق على صورة الله، هو كائن خالد. بينما إن الشبه بالله أمر روحي وليس أمراً جسدياً. فالخلود لا ينطبق على جسد الإنسان لكنه ينطبق على روحه. فالجسم يموت ولكن للروح كياناً دائماً. وقد قال الحكيم في وصفه الموت: "فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذي أعطاهها" (جامعة 12: 7). أي أن الجسم يموت وأما الروح فتبقى حية.

وبما أن الإنسان كائن خلقي عاقل فقد سلطه الله على كل خلائقه "وباركهم الله وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الأرض واخضعوها وتسلبوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض" (تكوين 1: 28).

ومرة أخرى نقرأ في المزمور 8: 4 - 6 هذه العبارة: "فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده. وتنقصه قليلاً عن الملائكة وبمجد وبهاء تكلمه. تسلطه على أعمال يديك. جعلت كل شيء تحت قدميه".

وبما أن الإنسان قد خلق على مثال الله، فهناك كرامة لشخصيته الإنسانية لا بد وأن تحترم. فقد رأى الله مناسباً أن يمنح بعض الناس مواهب وسجايا أكثر مما منح غيرهم ولكن هذا لا يعني بحال أن المنعم عليهم يحق لهم أكثر من غيرهم أن يحتقروا من هم دونهم نعماً وسجايا. فالكل مخلوق على صورة الله وعلى هذا الأساس يجب أن يعاملوا. فلا موضع لاستعباد البشر مباشرة أو غير مباشرة. ليس في العلاقات البشرية أي مكان للنظرية القائلة بجواز تحكم فئة صغيرة بمصائر جماهير البشر دون اعتبار لإرادتهم. وإن الإنسان ليس سوى سن أو برغي في آلة كبيرة. لذا يقول بطرس أنه تعلم درساً قيماً في قيصرية وهو "أن الله لا يقبل الوجوه" (أعمال 10: 34).

مسكن الإنسان

إن وصف المسكن الذي أعده الله للإنسان موجود في سفر التكوين 2: 8 - 17 فهو جنة من غرس الله ذاته "وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً ووضع هناك آدم الذي جبله" (تكوين 2: 8).

1. موقعه

ينظر بعض طلاب الكتاب المقدس إلى قصة الخليقة بكاملها نظرهم إلى قصة رمزية فالجنة بالنسبة لهم شيء رمزي ترمي إلى بعض الحقائق الخاصة. ولكن القصة كما يرويها الكتاب المقدس تمثل حقائق واقعة. كانت الجنة واقعة حتماً في عدن شرقاً. إن لفظي "عدن" و "الجنة" ليستا لفظتين مترادفتين "فعدن" ومعناها "السرور" هي البلاد التي جعلت فيها الجنة. أما أين تقع هذه البلاد فليس واضحاً تماماً، ولو أن الوصف المعطى والأخبار المذكورة تشير إلى أنها واقعة في أواسط آسيا.

2. المعيشة فيه

في تلك الجنة التي غرسها الله حيث الوفرة والجمال "وأنت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل" (تكوين 2: 9) غرس الله شجرتين عجيبتين - شجرة الحياة، التي جعلها لخلاص الإنسان من الموت لو لم يخطئ، وشجرة معرفة الخير والشر التي جعلت لامتحان مقدار ولاء الإنسان لله. "وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت" (تكوين 2: 17).

3. عمل الإنسان

لم يكن للبطالة محل في برنامج الله للإنسان "وأخذ الرب الإله آدم ووضع في جنة عدن ليعملها ويحفظها" (تكوين 2: 15). لم يكن الإنسان ليأكل من ثمار الجنة ويتمتع بجمالها فقط. بل كان عليه أن يعمل فيها ويحفظها. لم يكن مقصد الله مطلقاً أن يعيش الإنسان بطلاً، لا في هذه الحياة ولا في الأخرى. وفي هذا المعنى يقول الرائي في أجمل ما كتب من أوصاف عن البيت السماوي وفي آخر فصل من فصول الكتاب المقدس ما يلي: "وعبيده يخدمونه" (رؤيا 22: 3).

سقوط الإنسان

لم يبق الإنسان على حالته الأولى كاملاً وبلا خطية. فقد عصى الله فسقط من علياء حالته السعيدة وفي الأصحاح الثالث من سفر التكوين وصف لسقوطه.

1. عامل السقوط

إن القصة حسب ما يرويها الكتاب المقدس تقول إن الحية هي العامل "وكانت الحية أحيلاً جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله فقالت للمرأة ... " (تكوين 3: 1). أما كون الشيطان هو العامل الأساسي في التجربة فوارد إذ أنه قيل عنه فيما بعد "فطرح التين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم كله" (رؤيا 12: 9).

أما كيف كان شكل الحية ومظهرها وميزاتها الخاصة قبل السقوط فهو على الراجح أمر غامض. يصورها البعض مخلوقاً جميلاً يسير منتصباً لا زاحفاً على الأرض والكتاب المقدس يقول أنها كانت أدهى الحيوانات وأمكرها. ولهذا السبب بالذات اختار الشيطان الحية وسيطاً للتجربة.

فمن هو الشيطان؟ يقول الكتاب المقدس إنه رئيس الأرواح الشريرة الكثيرة العدد. أما من أين جاء هذا العدد الضخم فإن ما نعرفه عنه لا يعدو النزر القليل من الآيات الواردة في الكتاب المقدس، التي تذكر شيئاً عن هذه الأرواح نستنتج منها أنها كائنات مخلوقة كانت في يوم من الأيام بلا خطية. وتحت قيادة الشيطان عصوا الله فطردوا من حضرته.

ويقول الكتاب المقدس عن سقوطهم "والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم" (يهوذا 6). وبطرس يقول "لأنه إن كان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين للقضاء" (2 بطرس 2: 4). وقال يسوع لرسله: "رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء" (لوقا 10: 18).

أما سبب سقوط الشيطان وملائكته فغير مذكور. ويبين بولس أنه الكبرياء "لئلا يتصلف فيسقط في دينونة إبليس" (1 تيموثاوس 3: 6). وهكذا أصبح الشيطان عدو الله الأول وقد قاد أنصاره لمحاربة الله بكل طريقة ممكنة. لذلك عندما خلق الله الإنسان بدأ الشيطان يسعى ليجلب عليه الخراب. وكانت طرقه ذات الطرق التي يستعملها إلى اليوم. استعمل الخبث مخفياً شخصيته مستشيراً الشهوات والرغائب، بعث الشك حول صلاح الله، مكذباً ومناقضاً كلمة الله.

اقترب الشيطان من المرأة التي كما يظهر كانت أكثر تصديقاً له. وقد استسلمت للتجربة وأكلت من الثمرة المحرمة. ثم إنها أغرت آدم ليشترك معها في عصيانها لله وهنا يقول بولس: "إن المرأة أغويت ولكن الرجل لم يغو. لأنه كان يعرف ما هو فاعل كل المعرفة. وآدم لم يغو ولكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي" (تيموثاوس 2: 14).

ومن الطبيعي أن يثار السؤال التالي وهو لماذا سمح الله للخطية أن تأتي إلى العالم؟ ولن نجني إلا القليل من تفحصنا لدوافع الله ومقاصده ولكن يمكن القول أن الإنسان، ما لم تكن له الفرصة في الخيار بين الصواب والخطأ، لا يمكن أن يكون مخلوقاً حراً. إذ بذلك يكون صلاحه إجبارياً.

2. نتائج السقوط

لقد نتج من خطية الإنسان وعصيانه ثلاث نتائج مفعجة:

(1) للرجل والمرأة: من جراء سقوطهما شوه الرجل والمرأة صورة الله فيهما، وخسرا شركتهما مع الله. امتلاً آدم وحواء بالخوف والخجل وحاولا أن يختبئا من وجه الله. وقد حلت بهما لعنة.

"وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلك بالوجع تلدين أولاداً وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك" (تكوين 3: 16).

"وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها" (تكوين 3: 17 - 19).

وطرد الرجل والمرأة من الجنة: "فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها" (تكوين 3: 23).

ولكن العاقبة المرعبة لخطيئة الإنسان يمكن جمعها كلمة واحدة "الموت" "لأنك
يزم تأكل منها موتاً تموت" (تكوين 2: 17) وهذا الموت كان موتاً جسدياً وموتاً
روحياً أيضاً.

منذ اليوم الذي عصى به الإنسان الله أصبح مخلوقاً ميتاً. إن جسده لم يمت يوم
أخطأ بالذات، ولكنه أصبح عرضة للمرضى والوهن التي تنتهي إلى الموت.
إلا أن الإنسان قد مات روحياً منذ اليوم الذي أخطأ فيه ضد الله. إن الموت
لا يعني توقف الحياة ولكنه يعني الانفصال أو الانحلال.

الموت الطبيعي يعني انفصال الروح عن الجسد. وقد وصف بأنه تسليم للروح
"وأسلم إبراهيم روحه ومات" (تكوين 25: 8).

والموت الروحي هو انفصال النفس عن الله. وكل البشر في حالتهم الطبيعية
أموات روحياً. والإيمان هو انتقال من الموت إلى الحياة. "الحق الحق أقول لكم إن من
يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من
الموت إلى الحياة" (يوحنا 5: 24). هذا وسنتوسع في بحث هذا الموضوع في الفصل
التالي.

(2) للجنس البشري. إن الإنسان بسقوطه لم يجلب الدمار على نفسه
فحسب بل على ذريته أيضاً. وبما أن آدم هو أبو الجنس البشري فتأثير خطيته قد تعداه
إلى نسله. لأنهم أصبحوا ورثة لطبيعته الساقطة.

هذه الحقيقة ظاهرة بوضوح في العهدين القديم والجديد فقد قال داود: "هائذا بالإثم صورت وبالخطية حبلت بي أُمي" (مزمور 51: 5). لم يتهم داود أمه بالخطية ولكنه يعلن أنه قد ولد بطبيعة فاسدة والعهد الجديد يبين هذه الحقيقة بوضوح أجلى. نجد في الفصل الخامس من الرسالة إلى أهل رومية هذا التعبير "من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع" (عدد 12) و "لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد" (عدد 17). "فإذاً كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة" (عدد 18) "لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة" (عدد 19). وفي أفسس 2: 3 يقول بولس "الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قبلاً بينهم في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً".

ومن جراء الخطية أصبح الإنسان فاسداً بطبيعته وبعد سنين عديدة قال يسوع: "هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة. وأما الشجرة الرديئة فتصنع أثماراً ردية. لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً ردية ولا شجرة ردية أن تصنع أثماراً جيدة" (متى 7: 17 - 18) وهكذا فإذا كان رأس الجنس البشري فاسداً فإنه لا يستطيع أن يثمر إلا نسلًا فاسداً.

إن البراهين على صدق هذه الحقيقة غير قائمة في الأسفار المقدسة فحسب، ولكن يمكن أن نبرهن على صحتها باختباراتها الخاصة.

لقد ظل أبناء آدم يحملون طبيعتهم الفاسدة. ولم يكن ميل سلالته للتحسين ولكن ميلهم كان للفساد الخلقى حتى "رأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم" (تكوين 6: 5). وكذلك كانت السلالات المتعاقبة فلم تنتج صالحاً واحداً "الله من السماء أشرف على بني البشر لينظر هل من فاهم طالب الله. كلهم قد ارتدوا معاً فسدوا ليس من يعمل صالحاً ليس ولا واحد" (مزمو 53: 2 - 3). كل مولود يأتي هذا العالم لا يلبث حتى تظهر عليه مظاهر الطبيعة الشريرة.

"الفساد الكلي" هو تعبير استعمل لوصف حالة الجنس البشري. وهذا لا يعني أن الإنسان فاسد كل الفساد وأن لا أثر للخير فيه، ولا يعني أيضاً أن الكل متساوون في الخطية، ولكننا نعني أن الكيان بأسره مصاب بالخطية، وأن طبيعة الإنسان بكاملها قد أصيبت بضربتها.

وهنا لا بد أن يبدر سؤال هو: ما هي حالة الأطفال الذين يموتون أطفالاً أو قبل بلوغهم سن الرشد؟ هل يهلكون؟ لقد آمن بهذا الإيمان بعض الناس قبل مدة من الزمن. وقد يكون هذا الاعتقاد - اعتقاد هلاك الأطفال الذين يموتون إن لم يعمل شيء لهم - هو الذي قاد إلى معمودية الأطفال.

نحن نعتقد أن الذين يموتون قبل بلوغهم سن الرشد يخلصون إن كانوا معمدين أو غير معمدين. فهم غير خاضعين للدينونة إلى أن يبلغوا سن الرشد. فليس لماء المعمودية أية فاعلية لتطهير الطبيعة الفاسدة. والذين يموتون في حالة الطفولة يخلصون

برحمة الله ونعمته. وقد أكد داود هذا الرأي بخصوص ابنه الصغير الذي مات فقال "أنا ذاهب إليه وأما هو فلا يرجع إلي" (1 صموئيل 12: 23).

أما كيف ومتى يخلص الطفل الصغير فغير واضح في الأسفار المقدسة. وفي هذا المعنى يقول الدكتور ا.هـ سترونغ "بما أنه ليس من دليل على أن المواليد الذين يموتون أطفالاً يتجددون قبيل موتهم، إما بواسطة خارجية أو غيرها فمن الممكن إذاً أن عملية التجديد تحدث بواسطة الروح بما يتعلق بروح الطفل بعد النظرة الأولى التي يرى بها المسيح في الحياة الأخرى".

"وكما أن بقايا الفساد الطبيعي في المسيحي تستأصل، ليس بالموت ولكن عند الموت برؤية المسيح والاتحاد به، كذلك فإن اللحظة الأولى التي يعود بها الطفل إلى وعيه تطابق ذات اللحظة التي يرى بها المسيح المخلص الذي يتم التقديس الكامل لطبيعته".

(3) لبقية الخليقة. هناك آيات كتابية تشير إلى أن لعنة خطيئة الإنسان قد حلت على كل الخليقة.

حلت اللعنة على الحيوانات. فقد قال الله للحية: لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك" (تكوين 3: 14). إن جميع المملكة الحيوانية قد تأثرت بهذه السقطة فأصبح الوحش ضد الوحش، يسعى كل للفتك بالآخر وتمزيقه. إذ أنه من المؤكد أن الوحش لم تخلق هكذا منذ البدء.

وكذلك حلت اللعنة بالخليقة المادية. فقد قال الله لآدم: "لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكاً وحسكاً تنبت لك" (تكوين 3: 17 - 18). كما أن بولس يقول في رسالته إلى أهل رومية 8: 20 - 22 "إذ أخضعت الخليقة للبطل ليس طوعاً بل من أجل الذي أخضعها على الرجاء لأن الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله فإننا نعلم أن كل الخليقة تنن وتمخض معاً إلى الآن".

وكما أن الخليقة قد سقطت بأسرها تحت لعنة الخطية، كذلك فإنه سيكون لها نصيب في أجماد الفداء. ولهذا فإن أشعيا في وصفه لحكم المسيح المجيد يقول: "فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدي والعجل والشبل والمسن معاً وصبي صغير يسوقها. والبقرة والدبة ترعيان. تربض أولادهما معاً والأسد كالبقرة يأكل تبناً. ويلعب الرضيع على سرب الصل ويمد الفطيم يده على حجر الأفعوان. لا يسوءون ولا يفسدون في كل جبل قدسي لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر" (أشعيا 11: 6 - 9).

وفي تفسير هذه الفقرة السابقة يقول الدكتور الكسندر مكلارن: "إننا لا نستطيع القطع في موضوع معرفتنا به قاصرة، كما أننا لا نستطيع التأكد من مقدار الرمزية في هذه الصورة الحلوة، يكفيننا أنه لا بد من أن يأتي يوم فيه يعيد ملك البشر

وسيد الطبيعة السلام والوئام بين الاثنين كما يستعيد تلك الموسيقى العذبة التي سيعزفها كل مخلوق إلى ربه العظيم".

أما الرائي فيقول في وصف عجيب لواحدة من رؤاه. "وكل خليقة ما في السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر كل ما فيها سمعتها قائلة للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين" (رؤيا 5: 13).

ولكن لا بد من الرجوع إلى ما يذكرنا به الدكتور مكلارن وهو "أننا لا نستطيع القطع في موضوع معرفتنا به قاصرة".

أسئلة للمراجعة والامتحان

- 1- ما هو أصل الإنسان؟
- 2- ما الذي نعنيه بصورة الله ومثاله؟
- 3- من هو العامل في سقوط الإنسان؟
- 4- ما هي النتائج التي ترتبت على سقوط الإنسان؟

الفصل الرابع فضاعة الخطية

"لكي تصير الخطية خاطئة جداً بالوصية" (رومية 7: 13)

استعملت عدة كلمات في الكتاب المقدس للدلالة على الانفصال الذي حدث بين الله والإنسان. فقد قيل فيه أنه تعدّ. إثم. شر، إهانة، معصية، تمرد، ولكن الكلمة المستعملة عادة لوصف سقوط الإنسان هي "الخطية". هذه هي الكلمة التي استعملها الله ذاته. فعندما أنذر قايين قال "إن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة" (تكوين 4: 7).

إن المعنى الجذري لكلمة خطية هو عدم إصابة الهدف أو التقصير. والخطية هي التقصير عن بلوغ الغاية التي وضعها الله أمامنا وإخطاء الهدف الذي نصبه الله لنا. ويفسر بولس هذا في رسالته إلى أهل رومية 3: 23: "إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله". إنهم لم يتوصلوا إلى المقياس الذي أراد الله أن يتوصلوا إليه.

سبب الخطية

لقد ذكر شيء عن كيفية ظهور الخطية في الفصول السابقة وكل ما نعرفه عن بداية الخطية مسجل في الأعداد السبعة الأولى من الأصحاح الثالث من سفر التكوين. ومع أن اسم الشيطان غير مذكور في القصة إلا أنه من الواضح أنه السبب الحقيقي للخطية. كما أن القصة تبين طرفاً من الأساليب التي كان وما زال يستعملها.

1. أخفى شخصيته

"وكانت الحية أحييل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله" (تكوين 3: 1) وهذا هو السبب الذي من أجله اختارها الشيطان من بين جميع الحيوانات. فقد كانت أحييل الجميع.

إن للشيطان هيئات عديدة يتستر بها ويختبئ خلفها. إنه لا يقرب إنساناً قط ليقول له "إنني الشيطان". وبولس يقول أنه - أي الشيطان - يظهر أحياناً كملاك "ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور" (2 كورنثوس 11: 14).

2. بذر الشك في محبة الله

"فقلت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجرة الجنة" (تكوين 3: 1). "بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر" (تكوين 3: 5). فإنه ألمح إليها أن الله يمنع عنهما شيئاً لهما كل الحق فيه.

3. ناقض كلمة الله

"فقلت الحية للمرأة لن تموتا" (تكوين 3: 4). إن الشيطان لينال نصراً كبيراً إذا ما استطاع أن يشكك أحداً في صدق كلمة الله. فالله يقول "النفس التي تخطئ هي تموت" (حزقيال 18: 4) والشيطان يقول "لن تموتا". يقول الله "أجرة الخطية هي موت" (رومية 6: 23) والشيطان يقول "لن تموتا".

4. حاول استمالة رغبة المرأة الطبيعية

"فأرت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت ... " (تكوين 3: 6) وبعد سنين عديدة كتب يوحنا "لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة" (1 يوحنا 2: 16). وهنا يجدر بنا أن نذكر التجارب الثلاث التي جرب الشيطان بها مخلصنا يسوع المسيح.

5. عمل بواسطة المرأة ليصطاد الرجل

"وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل" (تكوين 3: 6) قال يسوع للتلاميذ الذين سلموه حياتهم "ستكونون لي شهوداً" (أعمال 1: 8). والشيطان يقول للذين يسلمون نفوسهم له: "ستكونون لي شهوداً". فللشيطان شهود في العالم أكثر مما للرب وفي غالب الأحيان نراهم أكثر غير من شهود المسيح.

طبيعة الخطية

في العالم آراء عديدة مختلفة فيما يتعلق بالخطية. فهناك من ينكر وجودها، ولكن هذا الإنكار لا يبطل وجودها. فالله له تأكيدات مشددة يقو لها بصد هذا الموقف "إن قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا" (1 يوحنا 1: 8). "إن قلنا أننا لم نخطئ نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا" (1 يوحنا 1: 10). والبعض يستهزئ بالخطية ولكن الله يصف هذا البعض بأنهم حمقى "الجهال يستهزئون بالإثم" (أمثال 14: 9) والحق يقال أن الاستخفاف بالخطية غباوة ما بعدها غباوة.

هناك آخرون يفاخرون بخطاياهم. وفي وصف خطايا أورشليم ويهوذا يقول أشعيا النبي "نظر وجوههم يشهد عليهم وهم يخبرون بخطيتهم كسدوم لا يخفونها"

(أشعيا 3: 9). وفي الإنكليزية مثل قديم يقول "الساقط في الخطية إنسان، والنادم عليها قديس، أما المفتخر بها فشیطان"

لكن أخطر موقف إزاء الخطية هو ذلك الموقف المقلل من أهميتها حتى لا تظهر في بشاعتها. فيطلقون عليها أسماء مختلفة مثل "سوء تكييف الإنسان لمحيطه" أو "هفوة أدبية" أو قد يذهبون إلى القول أنها مرض والإنسان غير مسؤول عنه. ولكن تغيير اسم الأشياء لا يغير شيئاً من جوهرها.

اعتاد الدكتور شامان أن يذكر قصة عن قسيس ألقى عظة بليغة عن الخطية. وبعد الخدمة ذهب إليه أحد العاملين في الكنيسة وقال "إننا لا نرغب أن نتكلم عن الخطية بمثل هذه الصراحة، لأن أبناءنا وبناتنا إذا ما سمعوك تتكلم عنها يصبحون خطاة بسهولة. سمها غلطة، إذا شئت، ولكن لا تتكلم بمثل هذه الصراحة عن الخطية". فما كان من القسيس إلا أن أخذ زجاجة "ستركنين" وقد ألصق عليها بطاقة تقول إن ما تحويه علاج سام ثم رفعها أمام نظر الزائر قائلاً "لقد فهمت مرادك إن ما تريده هو أن أغير البطاقة. لنفترض أنني نزعنا هذه البطاقة وألصقت مكانها بطاقة أخرى كتب عليها "روح النعناع" ألا ترى ما الذي سيحدث؟ أنك كل ما حاولت أن تلتطف ما كتب على البطاقة كل ما جعلت ما بداخل الزجاجة أشد خطراً". فمهما حاولنا تغيير اسم الخطية فإنها ستظل شيئاً شنيعاً يكرهه الله.

اعتدنا أيضاً أن نصف الخطية كشيء أسود. فنقول إن جرائم سوداء قد ارتكبت مثلاً. ولكن هذا التعبير هو غير الذي استعمله الله في وصفه للخطية؟ إنه

يدعوها "حمراء" أو "قرمزية" "هلم نتحاجج يقول الرب إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج. إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف" (أشعيا 1: 18).

شهد أحد خبراء الأصبغة بقوله إن باستطاعة الناس تغيير القماش من لون إلى لون آخر دون كبير جهد إلا في حالة القماش الأحمر اللون. فالأسود يمكن تغييره إلى أي لون آخر بسهولة. إلا أن الحالة ليست بمثل هذه السهولة في اللون الأحمر. قد يستطيعون تغيير الأحمر إلى لون آخر ولكن لفترة وجيزة إذ أن الخيوط القرمزية لا تلبث أن تظهر لونها ثانية.

والله يصف الخطية بأنها حمراء لا سوداء. إن صباغها ثابت جداً ويصعب تغييره. وليس في العالم ما يستطيع غسلها إلا دم المسيح. "ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية" (1 يوحنا 1: 7). ويظهر أن بولس لم يستطع أن يجد الكلمة التي يصف بها فظاعة الخطية وصفاً قوياً. فبعد أن نقّب عن كلمة تفي بهذا الغرض وجد أن اللفظ الوحيد الذي يستطيع أن يقوله عن الخطية هو أن الخطية "خاطئة جداً" وفي قوله هذا لم يكن يصف خطية معينة، فهو لم يشر إلى جريمة فظيعة ليقول عنها "هذه خاطئة جداً". كل خطية، أية خطية، هي خاطئة جداً. هذا لا يعني أن ليس هناك خطايا أعظم من غيرها. فبالتأكيد هناك خطايا أعظم وأفظع من غيرها. ولكن ما أراد بولس أن يؤكده هو حقيقة كون كل الخطايا فظيعة في طبيعتها.

1. إنها ثورة ضد الله

نقول إننا أخطأنا ضد إخواننا البشر، ونحن فعلاً نخطئ ولكن كل خطية هي ضد الله. ويوحنا يقول "الخطية هي التعدي" (1 يوحنا 3: 4) أي مخالفة الناموس.

وأي ناموس نعني؟ إنه ليس ناموس البشر إذ أننا لا ندعو مخالفة القانون المدني خطية. ولكننا ننعته بنعوت أخرى مثل ذنب أو مخالفة أو جنائية، أو جريمة إلى آخر ما هنالك من مثل هذه النعوت. ولكن كلمة "خطية" مقصورة على مخالفة ناموس الله.

وهذا ما يجعل الخطية شيئاً فظيماً للغاية. إذ أنها ضد إله قدوس ومحب. وإدراك هذا الأمر هو الذي كسر قلب داود عندما وقع تحت التبكيت من جراء خطيته العظيمة ولذلك صرخ "قد أخطأت إلى الرب" (2 صموئيل 12: 13). مع أنه بالواقع قد أخطأ إلى أوريا الحثي وإلى زوجته ولكنه ما جعله يرتعب هو أنه أخطأ إلى الله. لقد كانت هذه الحقيقة تستعر في قلب داود، حتى أنه صلى نادماً فقال: "إليك وحدك أخطأت والشر قدام عينيك صنعت" (مزمور 51: 4).

اقتاد الشيطان الرجل والمرأة الأولين إلى الخطية ليس لأنه مهتم بخلاصهما أو عدمه ولكن لأن همه الأول كان مقصوراً على أنه بواسطة خطيتهما يستطيع أن يطعن الله. وهذا هو قصده الأول من وراء كل خطية.

لا يهم الشيطان مبدئياً أن نخلص أو نهلك، ولكن همه الأعظم والأوحد أن يقودنا إلى الخطية فيستطيع من جراء ذلك أن يستخدمنا في حرية ضد الله. وهذا ما تعنيه الخطية – إننا بها نضع أنفسنا في يد الشيطان فيستعملنا واسطة لطعنه يوجهها إلى قلب الله.

ولكي نفهم طبيعة الخطية حقاً يجب أن نمضي إلى صليب الجلجثة. الخطية شيء أدى إلى صلب ابن الله. وهي التي رفعت السوط وجلدت ظهره حتى سالت

دماه. وهي التي ضفرت إكليل الشوك وكللت به جبينه وهي أيضاً التي أهوت بالمطرقة لتسمر بالمسامير يديه ورجليه. فإن الشيء الذي ندعوه خطية هو الذي سمر ابن الله على الصليب.

خطية من هي التي صلبت يسوع المسيح؟ قد يقول البعض "إنها خطية يهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه إلى أيدي أعدائه" أو "إنها خطية رؤساء اليهود الذين حكموا عليه بالموت" أو "إنها خطية بيلاطس البنطي الذي أسلمه إلى أيدي الجنود الرومانيين" أو "إنها خطية الجنود الرومانيين الذين سمروه على الصليب." صحيح أن خطايا هؤلاء جميعاً لها ضلع في صلب ابن الله ولكنهم لم يكونوا وحدهم في جريمتهم. خطية العالم هي التي صلبت المسيح. وخطيتك وخطيتي اشتركتنا في هذا الأمر. وبالنسبة لنا فالصليب حادث تاريخي ولكن بالنسبة لله فالصليب عملية أبدية.

إن الكتاب المقدس يتكلم عن صلب المسيح ثانية "إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه" (عبرانيين: 6: 6). وهذا ما يفعله البشر عندما يتعدون عن محبة الله بالمسيح، ويسلمون أنفسهم للخطية. إنهم يقولون بأفعالهم وإن لم يقولوا بأفواههم "لأخذ السوط وأجلد ظهره ولأخذ إكليل الشوك وأغرزه في هامته، ثم لأخذ المطرقة وأسمر المسامير عميقة في يديه ورجليه."

2. عالمية في مداها

إن شهادة الأسفار المقدسة في العهدين القديم والجديد هي أن الخطية عامة. سليمان يقول "لأنه ليس إنسان لا يخطئ" (ملوك الأول 8: 46) ومرنم المزامير يعلن أنه "ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد" (مزمور 53: 3). أما يوحنا فقد قالها

بعبارة قوية "إن قلنا أننا لم نخطئ نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا" (1 يوحنا 1: 10) وبولس يلخصها بهذه الكلمات: "إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رومية 3: 23).

إن لفظه "كل" لفظة صغيرة ولكنها تشمل مجموعة الناس فهي ترجع بمعناها إلى بداية الخليقة وتشمل جميع الأجيال التي عاشت على الأرض. إنها تصل إلى ما وراء البحار والقارات كما تحوي كل إنسان كائن في الأرض اليوم. وتمتد إلى منتهى الزمن وتشمل جميع الأجيال المقبلة.

وهذه ليست شهادة الكتاب المقدس فقط. ولكنها شهادة الاختبار البشري. إنه لم يوجد قط رجل أو امرأة كاملان تماماً. وحتى هؤلاء الذين توصلوا إلى قمة الأعمالي في الاختبارات المسيحية هم على أتم الاستعداد للإقرار بإخفاقهم وقصورهم. فليست خطايا جميع الناس متشابهة فالبعض قد تعمقوا في الخطية أكثر من غيرهم، ولكن ليس هناك من لم يخطئ.

بعض الناس لا يعدون ذواتهم خطاة لأنهم لم يرتكبوا الخطايا الجسيمة المعروفة في المجتمع. فهم ليسوا سكيرين ولا لصوصاً أو زناة أو مجرمين. ولكنهم قد يكونون مذنبين بخطايا أخرى هي في نظر الرب في نفس المرتبة. هذا هو الخطأ الذي وقع فيه الفريسي في الهيكل حينما صلى قائلاً: "اللهم أنا أشكرك إني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين" (لوقا 18: 11).

اعتقد الفريسي أنه ما دام لم يقترب أياً من تلك الخطايا الجسيمة فهو ليس خاطئاً. ولكن خطيته كانت الرياء. والرياء من أفضح الخطايا في نظر الرب. إن يسوع لم يظهر غيظه أكثر مما كان يظهره في حديثه للمرائين "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون" (متى 23: 15).

يعتبر عدم الإيمان في الكتاب المقدس أكبر الخطايا. فعندما كان يسوع يتكلم عن مجيء الروح القدس قال "ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة. أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي" (يوحنا 16: 8 - 9). وكاتب الرسالة إلى العبرانيين ينذرنا بقوله "انظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم قلب شرير بعدم إيمان (عبرانيين 3: 12). لم يقل يسوع أنه سيبكت العالم على خطية لأنهم سكيرون وقتلة وزناة الخ .. ولكن "لأنهم لا يؤمنون بي" وكاتب الرسالة إلى العبرانيين لا يقول "لئلا يكون في أحدكم قلب شرير في القتل والزنى أو في خطايا أخرى" ولكن "قلب شرير بعدم إيمان".

منذ عدة سنين ذكرت مجلة Sunday School Times إن الدكتور يوجين ليمان فسك الطبيب قد صرح بما يلي: "هناك خلل صحي فينا جميعاً. إن الكمال الصحي هو أندر شيء في العالم. لقد تركنا كل أمل في العثوؤ على كمال صحي، ويمكنني أن أصرح بما هو أكثر فأقول إن الوصول إليه لم يعد ممكناً. إنني لم أعر بين الرجال الذين قمت بفحصهم على رجل من الدرجة الأولى صحياً، وحتى رجل

الدرجة الثانية نادر جداً. وأكثر من هذا فمن المستحيل أن تجد نموذجاً كاملاً حتى ولا عند الولادة".

وإذا كان هذا الوصف صادقاً على كيان الإنسان الصحي فكم هو أصدق بكثير على طبيعته الأدبية. ليس هناك عينات بشرية كاملة. الله، الطبيب الأعظم، "من السماء أشرف على بني البشر لينظر هل من فاهم طالب الله" فكان الحكم "كلهم قد ارتدوا معاً فسدوا ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد" (مزمور 53: 2 - 3).

3. الخطية التي لا تغتفر

هناك خطية يصفها الكتاب المقدس بأنها لا تغتفر. لقد قال يسوع "لذلك أقول لكم كل خطية وتجديف يغفر للناس وأما التجديف على الروح فلن يغفر للناس. ومن قال كلمة على ابن الإنسان يغفر له وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي" (متى 12: 31 - 32).

وفي الرسالة إلى العبرانيين 10: 26 تجد هذه العبارة "فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا". وفي رسالة يوحنا الأولى 5: 16 نقراً "إن رأى أحد أخاه يخطئ خطية ليست للموت يطلب فيعطيه حياة للذين يخطئون ليس للموت. توجد خطية للموت ليس لأجل هذه أقول أن يطلب".

وحيث يقول يسوع إن هنالك خطية واحدة لا تغتفر فلا بد وأن تكون إشارة هذه الفصول موجهة إليها. إن الخطية المذكورة في هذه الأعداد خطية لا تغتفر ليس لأن الله لا يريد أن يغفرها، ولكن لأن مرتكب هذه الخطية قد قسى قلبه ضد الله

حتى لم تعد هناك فيه أية استجابة للتأثير الإلهي. والخوف الذي يشعر به البعض لظنهم أنهم ارتكبوا مثل هذه الخطية لدليل على أنهم لم يرتكبوها. إن أخطأ أحد بمثل هذه الخطية ينعدم الشعور عنده بها. إنه كثرة الإسمت التي تقسو تدريجياً حتى تصبح حجراً.

فما هي الخطية التي لا تغتفر؟ إن الأسفار المقدسة لم تكشف الشيء الكثير عنها. الخطية التي أدان بها يسوع الفريسيين كانت أنهم نسبوا العجائب التي أجراها المسيح بقوة الروح القدس إلى الشيطان. ولكن هذا كان أبعد حد في مدى قسوة قلوبهم ضد المسيح. وأخيراً فقد رفضوه عن إدراك وقصد وتصميم وإصرار وحق. ولذلك يظهر من هنا ومن فصول أخرى في الأسفار المقدسة إن الخطية التي لا تغتفر هي نتيجة برهة طويلة لتصلب القلوب ضد التأثير الإلهي تنتهي بعمل حاسم عن قصد وتصميم نهائيين. قال الدكتور ا. هـ سترونغ نقلاً عن الدكتور ج. ب. طمس معرفاً الخطية التي لا تغتفر: "هي رفض الحق والنعمة الإلهيين عن سابق معرفة وتصميم ثابت وكره وتحقير، بعد إعلانهما للنفس بقوة الروح القدس المبكته والمنيرة."

عواقب الخطية

للخطية عواقب عاجلة وأخرى آجلة، عواقب روحية وأخرى جسدية. كانت عاقبة خطية آدم وحواء عاجلة فقد أصبحت عرضة للحزن والموت وطردها من الجنة وأبعدها عن الله.

هناك خطايا ما زالت تحمل معها عواقبها. فكم من أناس يتعذبون عقلاً وجسداً من جراء خطاياهم. هناك من يقضي حياته خلف قضبان السجن نتيجة

لخطاياهم. وحمل كثيرون إلى القبور قبل الأوان من جراء خطاياهم. وقد نستطيع القول أن كل حزن وعذاب في العالم إن هما إلا نتيجة مباشرة أو غير مباشرة للخطية. لأنه لو لم تكن الخطية لما كانت كل هذه النتائج.

إن خير كلمة نصف بها نتيجة الخطية هي "موت". إن الخطية مخالفة لناموس الله. إن الناموس الذي لا ينص على عقوبة مخالفته هو قانون لا قيمة له. يجتمع المشرعون ويصدرون قوانين، ولكن إن لم تنص هذه القوانين على عقوبة من ينقضها، فإن المجرمين سيدوسونها بأقدامهم ويهزأون بوضعها. وكذلك ناموس الله يجب أن ينص على عقوبة من يخالفه. فإن لم ينص على العقوبة فإن الإنسان سينقضه ويستهزئ بالله.

وناموس الله ينص على عقوبة الموت. فقد قال لآدم وحواء "لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت" (تكوين 2: 17). كما يقول على لسان النبي حزقيال "النفس التي تخطئ هي تموت" (حزقيال 18: 4). أما يعقوب أخو الرب فيقول "الخطية إذا كملت تنتج موتاً" (يعقوب 1: 15) وبولس يلخصها بهذه الكلمات "أجرة الخطية هي موت" (رومية 6: 23).

المعروف أنه في أيام الأزمات الاقتصادية تخفض الأجور. ولكن أجرة الخطية لم تخفض مطلقاً فقد حددت قيمة الأجرة في بدء الخليقة ولم تتغير منذ ذلك اليوم مطلقاً. هناك نوعان للموت وكلاهما نتيجة الخطية.

1. الموت الطبيعي

إن موت الجسد هو جزء من عقاب الخطية. فلو لم تكن الخطية لما كان الموت الجسدي. لقد دبر الله تدبيراً عجيباً به كان يمكن لآدم وحواء أن ينجوا من الموت لو لم يخطئا. لقد وضع في الجنة شجرة الحياة التي كان يمكن أن يأكلا من ثمرها ويعيشا إلى الأبد. وإنما لو أخذنا هذه الكلمات بصورة رمزية أو حرفية، فالحقيقة هي هي. لبد دبر الله طريقة بها كان بإمكانهما أن يخلصا من الموت.

يقول الكتاب المقدس إن آدم وحواء قد طردا من الجنة ليس لأنهما أخطأا ولكن لكي لا يأكلا من شجرة الحياة. "وقال الرب الإله هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويجيا إلى الأبد. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها. فطرد الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم وهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة" (تكوين 3: 22 - 24).

ومنذ ذلك اليوم والموت مخيم على العالم. كل من عاش على الأرض مات ولم يشذ عن هذه القاعدة غير أخنوخ وإيليا. لقد أصبحت الأرض مقبرة واسعة. وفي بعض الحالات يكون الموت هو النتيجة المباشرة للخطية بعينها أو لعدة خطايا. ولكن الموت بوجه عام هو النتيجة غير المباشرة للخطية في الجنس البشري.

2. الموت الروحي

ليس المعنى الجوهري للموت هو الانقراض بل الانفصال مع ما يرافقه من دمار. الموت الجسدي يعني انفصال الروح عن الجسد مما يسبب انحلال الجسم. فيعود الجسد إلى التراب، وترجع الروح إلى الله. ويصف سليمان الحكيم الموت بقوله "فيرجع

التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذي أعطها" (جامعة 12: 7).
والموت الروحي هو انفصال النفس عن الله مما يسبب دمار النفس. إن الإنسان بحالته الطبيعية ميت روحياً وبعيد عن الله. ويصف بولس حالة أهل أفسس الروحية قبل إيمانهم "أموات بالذنوب والخطايا" و "بالطبيعة أبناء الغضب" (أفسس 2: 1، 3). لقد كانوا بعيدين عن الله "إذ هم مظلمو الفكر ومتجنبون عن حياة الله لسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم" (أفسس 4: 18).

هذا الموت الروحي ينتهي أخيراً إلى الموت الأبدي والانفصال الأبدي عن الله ودمار النفس الأبدي، هذا إن لم يأت الإنسان إلى معرفة الله. "معطياً نعمة للذين لا يعرفون الله... الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته" (2 تسالونيكي 1: 8 - 9).

ودمار النفس الأبدي هذا يدعى "الموت الثاني". "مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم" (رؤيا 20: 6) "وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذي هو الموت الثاني" (رؤيا 21: 8).

هناك موت أول وموت ثان، تماماً كما أن هناك ولادة أولى وولادة ثانية. هناك ولادة جسدية وولادة روحية - ولادة الجسد وولادة النفس - وعلى ذات الطريقة فهناك موت أول وموت ثان - موت الجسد وموت النفس - وكلاهما أجرة

الخطية. وكما أن الولادة الروحية أجد من الولادة الجسدية فكذلك الموت الروحي أفضع من الموت الجسدي.

أسئلة للمراجعة والامتحان

- 1- اذكر بعض الأساليب التي يستعملها الشيطان في التجربة.
- 2- ابحث في الخطية كشيء ضد الله.
- 3- ما هي الخطية التي لا تغتفر؟
- 4- ما هي الكلمة التي بمفردها تصف نتائج الخطية؟

الفصل الخامس

مخلص البشر

"وتدعو اسمه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" (متى 1: 21)
 عندما أخطأ آدم، وجلب الدمار على نفسه وعلى كل الجنس البشري، كان أمام الله ثلاثة سبل وهي إما أن يدين الجنس البشري بلا رحمة أو أن يخلص الجنس البشري بكامله أو أن يمنح طريقاً للخلاص للذين يتوبون ويرجعون إليه. وكان السبيل الأخير هو السبيل الأوحى للإله العادل المحب. ومن أجل ذلك وعد بإرسال "المسيح" الذي يخلص شعبه من خطاياهم.

كان هناك وعد بمجيء "المسيح" حتى في اللعنة التي لفظها الله على الحياة "وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه" (تكوين 3: 15). وقد تكرر هذا الوعد مراراً في الأجيال التي تلت ذلك، وظل الناس يتطلعون متشوقين مؤملين واثقين بمجيء ذلك المخلص. ولما جاء ملء الزمان أتى المخلص "ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني" (غلاطية 4: 4 - 5).

إن الاسم الذي دعا الله به ابنه هو يسوع "وتدعو اسمه يسوع" وهذه اللفظة تقابل "يشوع" العبرية التي تعني "الرب هو الخلاص". أما اللقب الرسمي الذي منح لیسوع فهو "المسيح" وهي مأخوذة من العبرية وتعني "الممسوح بالدهن" وهذه جعلت

من يسوع محققاً للآمال المعلقة على مجيء المسيح المنتظر. وغالباً ما اتحد الاسم الشخصي باللقب الرسمي فقول "يسوع المسيح" أو "المسيح يسوع".

ودعي يسوع بلقب آخر هو "الرب" وقد كان هذا لقب كرامة وشرف وجلال. وقد استعمل هذا اللقب في العهد الجديد للدلالة دائماً على يسوع. وقد دعي أحياناً "الرب يسوع" وأحياناً بالألقاب الثلاثة دفعة واحدة "الرب يسوع المسيح".

أزلية المسيح

إن كينونة المسيح لم تكن لتبتدئ بمولده كما هو الحال عند سائر البشر ولكنه كائن منذ الأزل.

1. هذا القول وارد بوضوح في العهد الجديد

لن نحتاج لإيراد أكثر من آيات وفقرات قليلة هنا. وسنبداً بيوحنا 1: 1 - 2 "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله". إن الكلمات التي استعملت هنا هي ذات الكلمات التي نجدتها في الأصحاح الأول من العهد القديم "في البدء". قبل خلق العالم كان المسيح مع الآب.

ثم يمضي يوحنا ليقول إن المسيح كان واسطة الخلق "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان" (يوحنا 1: 3). وبولس يورد هذه الحقيقة ذاتها في رسالة إلى أهل كورنثوس 1: 16 "فإنه فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين الكل به وله قد خلق". ثم يسترسل ليقول في العدد السابع عشر "الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل".

2. يسوع أعلن أنه أزلي

صرّح يسوع في أكثر من مناسبة بأنه كائن منذ الأزل السحيق. وقد قال لليهود غير المؤمنين "الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (يوحنا 8: 58) هذا وقد عاش إبراهيم قبل ولادة يسوع المسيح بقرابة ألفي عام ومع هذا فقد قال "قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن". أما في صلاته الشفعية فقد قال "والآن مجدني أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يوحنا 17: 5).

تجسد المسيح

نعني بالتجسد أخذ جسد بشري. إن ابن الله الأزلي جاء إلى العالم وأخذ جسداً بشرياً. "والكلمة صار جسداً وحل بيننا" (يوحنا 1: 14). وبولس يورد هذه الحقيقة هكذا "الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس" (فيلبي 2: 6 - 7). هذا ما حدث عندما ولد الطفل يسوع في بيت لحم.

هناك حقيقتان يحويهما تجسد المسيح.

1. إنسان حق

إن الاسم الذي أطلقه المسيح على ذاته أكثر من غيره من الأسماء هو "ابن الإنسان" وكل ما رواه لنا عنه الإنجيل يقدمه كإنسان. عاش كإنسان واتصف بكل صفات الإنسان، كبر ونما جسدياً "وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس" (لوقا 2: 52). لقد تعب المسيح وجاع "فإذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر" (يوحنا 4: 6). "فبعدها صام أربعين يوماً وأربعين

ليلة جاع أخيراً" (متى 4: 2) كما تألم آلاماً جسدية، وبكى ونام، ومات. كل هذه الاختبارات تشهد بكون يسوع إنساناً.

2. الله حق

لم يكن يسوع ابن الإنسان فحسب ولكنه كان ابن الله. وقد ادعى الألوهية "الذي رأي فقد رأى الآب" (يوحنا 14: 9) "أنا والآب واحد" (يوحنا 10: 30) وقد مارس سلطانه كالله. فقد غفر الخطايا "فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج يا بني مغفورة لك خطاياك" (مرقس 2: 5) ثم إن أعداءه قد حكموا عليه بالموت لأنه قال أنه ابن الله "أجابه اليهود لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله" (يوحنا 19: 7).

وهكذا نجد أن المسيح إله - إنسان، ذو طبيعتين في شخص واحد. فقد كان إنساناً إذ جاع، وكان إلهاً عندما أطعم جموع الجياع بخمسة أرغفة الشعير والسمكتين الصغيرتين. كان إنساناً في تعبته، وكان إلهاً عندما منح الراحة للمتعبين. كان إنساناً فنام، وكان إلهاً عندما استيقظ فأحرس العاصفة. كان إنساناً في موته، وكان إلهاً في قيامته من الموت. إن كونه "الإله - الإنسان" هو الذي جعله قادراً أن يصبح مخلص العالم.

هل نستطيع فهم هذا؟ بالطبع لا. ولأن بعض الناس يعجزون عن فهمه يرفضون قبول هذا الأمر حقيقة واقعة. سئل دانيال وبستر "هل تستطيع أن تفهم يسوع المسيح؟" فأجاب "لا. وكنت أحنجل بالاعتراف به مخلصاً لي إن استطعت أن

أفهمه. إنني بحاجة إلى من هو فوق البشر ليخلصني. إلى عظيم مجيد إلى درجة لا أستطيع معها فهمه".

لاهوت المسيح

إن ما قيل حتى الآن يثير موضوع لاهوت المسيح. فهناك فرق بين الألوهية واللاهوت، حسب استعمال هاتين الكلمتين في يومنا هذا. هناك مفهومية خاصة، بها يستطيع جميع الناس الادعاء بأنهم إلهيون ذلك لأنهم مخلوقون على صورة الله. ففيهم شبه الله. ولكن ما من إنسان يستطيع الادعاء بأن له لاهوتاً فهذا امتياز خاص بيسوع الجليلي روي عن أسقف درهام أنه قال "إن المسيح الذي ليس إلهاً جسر مكسور عند طرفه الآخر".

1. طبيعة ميلاده

لم تحدث قط ولادة كولادة الطفل في بيت لحم وعنها يقول متى الرسول "أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا. لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس. فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً. ولكن فيما هو متفكر في هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له في حلم قائلاً يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذي حبل به فيها هو من الروح القدس" (متى 1: 18 - 20).

ويؤيد لوقا قصة متى هذه بل ويعززها بقوله "وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة. إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها

المنعم عليها الرب معك مباركة أنت من النساء. فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية. فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين وتلدن ابناً وتسمينه يسوع" (لوقا 1: 26 - 31) ثم في العدد الخامس والثلاثين يشرح لوقا كيفية ولادة المسيح بهذه الكلمات "فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله". أما الذين ينكرون ولادة المسيح من عذراء فإنما ينكرون صدق كلمة الله.

2. نسق حياته

عاش المسيح حياة كاملة. وعنه يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين "مجرّب في كل شيء مثلنا بلا خطية" (4: 15). لذا استطاع يسوع أن يتحدى أعداءه لكي يذكروا ولو خطية واحدة بها يؤثّمونه "من منكم يبكتني على خطية؟" (يوحنا 8: 46). ثم إن عبارة بيلاطس ما زالت فتوى الدهور "إني لا أجد علة في هذا الإنسان" (لوقا 23: 4). وقد قال عنه رومانس "إن أغرب ما في المسيح هو حقيقة أن عشرين قرناً قد أخفقت إن تثبت عليه علة".

لا أحد يستطيع أن يحيا مثل هذه الحياة إلا ابن الله.

3. الصفات المميزة لتعليمه

عندما أرسل رؤساء الكهنة رجالهم لكي يلقوا القبض على يسوع ويحضروه إلى المجمع عادوا دون أن يأتوا به وعندما سألوهم عن فشلهم في تأدية مهمتهم أجابوا "لم يتكلم قط إنسان هكذا" (يوحنا 7: 46).

لم يتكلم إنسان مثل هذا الإنسان لأنه لم يوجد إنسان كهذا الإنسان. لقد رأى العالم خطباء مفوهين سحروا الجماهير بقوة بلاغتهم. ورأى علماء بهروا الناس بعلمهم. ولكن لم يتكلم قط إنسان مثل يسوع. فقد كانت كلماته بسيطة وعميقة. سمعه العامة بسرور بينما تعجب أحكم الحكماء لكلماته. ذلك أن المبادئ التي اختطها كانت وما زالت نبراس الدهور.

4. أعماله الخارقة

عندما جاء نيقوديموس الرئيس اليهودي ليلاً إلى يسوع وقال له "يا معلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التي تعمل إن لم يكن الله معه" (يوحنا 3: 2)، وهذا ما فسر به يسوع نفسه عجائبه إذ واجه الجموع في أورشليم قائلاً "أما أنا فلي شهادة أعظم من يوحنا لأن الأعمال التي أعطاني الآب لأكملها هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي أن الآب قد أرسلني" (يوحنا 5: 36).

5. مجد قيامته

لقد صرح بولس بأن قيامة يسوع هي البرهان الأكيد على لاهوته. "عن ابنه الذي صار من نسل داود من جهة الجسد وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات يسوع المسيح ربنا" (رومية 1: 3 - 4). لقد سمر على الصليب وترك معلقاً حتى مات. أما جسده المائت فقط أنزل عن الصليب ووضع في قبر منحوت في الصخر.

حجر كبير دحرج على باب القبر وختم بالخاتم الروماني. وللتأكد من عدم العبث بالجسد وضع حرس من الجنود الرومانيين لحراسة القبر. ولكن ما إن وافى اليوم الثالث حتى خرج ذلك الجسد المائت من القبر حيث عاش من جديد ممجداً. وهذا، كما يقول بولس، هو البرهان القاطع على لاهوت المسيح.

موت المسيح

إن صلب المسيح أكبر جريمة في تاريخ الدهور. ومع هذا فقد كان أسمى بيان لمحبة الله. "ولكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا" (رومية 5: 8). إن هذا لمن أروع الإيضاحات عن كيف يغير الله اللعنة إلى بركة. فقد قال يوسف لإخوته "أنتم قصدتم لي شراً. أما الله فقصد به خيراً لكي يفعل كما اليوم ليحيي شعباً كثيراً" (تكوين 50: 20). أراد أعداء المسيح أن يجعلوا من الصليب أعظم انتصاراً لهم، ولكن الله عكس الأمر إلى أعظم اندحار لهم. وبالصلب أتم الخلاص للعالم الهالك.

هناك عدة حقائق هامة رافقت موت المسيح.

1. إنه موت اختياري

لم يذهب يسوع إلى الصليب لأنه كان عاجزاً لا معين له بين أيدي أعدائه، فقد قال يسوع لبطرس عندما استل سيفه ليدافع عن معلمه في بستان جشيماني: "رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون. أتظن أنني لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشاً من الملائكة" (متى 26: 52 - 53). إن مكائد قادة اليهود كلها وقوة الجيوش الرومانية بأسرها لم

تكن لتقدر على تسمير المسيح على الصليب. فقد قال عما يتعلق بموته "لأنني أضع نفسي لآخذها أيضاً. ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي" (يوحنا 10: 17 - 18) فقد أعلن أنه إنما جاء إلى العالم ليموت "كما أن ابن الإنسان لم يأت ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (متى 20: 28).

2. موت بديلي

إن ما يهمنا من موت المسيح ليس الكيفية التي مات بها بل معنى هذا الموت. فقد صلب كثيرون غيره ولكن المسيح بموته مصلوباً فتح طريق الخلاص للخطاة. إن كلمة الله تقول "أجرة الخطية هي موت" (رومية 6: 23) وأكثر من هذا فهي تعلن أن الكل خطاة أمام الله "إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رومية 3: 23). فكيف يستطيع الله إذن أن يخلص أي إنسان ويتمسك ببره ويعضد ناموسه. إن صليب المسيح هو الجواب عن هذا السؤال "متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي يبسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله لإظهار بره في الزمان الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان ببسوع" (رومية 3: 24 - 26).

لقد ظهرت عدة نظريات عن الفداء ولكن تعليم الكتاب الواضح هو أن موت المسيح كان بدلياً. فقد حل محل الإنسان أمام ناموس الله وتألم نيابة عنه. وقد سبق العهد القديم فأخبر بهذا. لقد أزاح الله جانباً من حجب الغيب وسمح لأشعياء أن يلمح خلال ضباب سبعة قرون من المستقبل الغامض رؤيا صليب الجلجثة ليقول "وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبجبره شفينا. كلنا

كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا" (أشعيا 53: 5 - 6).

ثم إن موت يسوع البديلي قد ذكر في العهد الجديد بوضوح. وليس من تفسير منطقي آخر لمثل هذه الفقرات التالية:

"لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه" (2 كورنثوس 5: 21).

"المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا" (غلاطية 3: 13).
"الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر" (1 بطرس 2: 24).

"لكي يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد" (عبرانيين 2: 9)
"وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقد بل لخطايا كل العالم أيضاً" (1 يوحنا 2: 2)

إن يسوع قد حمل العالم في قلبه عندما مضى إلى الصليب.

3- مرة فقط

لن يأتي مخلص آخر لأن العالم لن يكون بحاجة إلى آخر. فالمسيح كاف لجميع البشر وإلى منتهى الدهور. ولن تكون هناك جليئة أخرى. لأن الفداء الذي صنع فوقها كان لسد حاجة الخطاة في كل مكان. لقد مات المسيح مرة عن الجميع: "ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبتل الخطية بذبيحة نفسه.... هكذا المسيح أيضاً بعد ما قدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين" (عبرانيين 9: 26 - 28).

قيامه المسيح

لقد مات المسيح على الصليب ودفن في قبر يوسف، ولكنه ليس ميتاً اليوم. فقد قام في اليوم الثالث من القبر وهو حي إلى أبد الآبدين. وهذه ميزة من ميزات الدين المسيحي إذا قيس بغيره من الأديان إن لنا مخلصاً حياً. فقبل المسيح بعدة قرون عاش بوذا وأسس ديانتته ولكن بعد بضعة سنين مات، وما زال ميتاً إلى اليوم وجسمه راقد في التراب. وأناس عديدون بعد المسيح بعدة قرون أسسوا أيضاً ديانات، ثم ماتوا وما زالوا أمواتاً وفي قبورهم يرقدون. المسيح مات، ولكنه ليس ميتاً اليوم فالأختام الرومانية والحرس الرومانيون عجزوا عن أن يبقوا جسده في القبر. فقد كسر شوكة الموت وخرج ليحيا إلى الأبد. "عالمين أن المسيح بعدما أقيم من الأموات لا يموت أيضاً. لا يسود عليه الموت بعد" (رومية 6:9). ما من حقيقة ثابتة في التاريخ ثبوت قيامه المسيح من الموت. فالقبر الفارغ، والأكفان، وشهادة الشهود المخلصين، وكثير من الحقائق الأخرى الثابتة تبرهن أن المسيح قد قام من الموت.

إن تأثيره في العالم اليوم يبرهن على أنه حي. سأل ملحدٌ مسيحياً تقياً عن سبب إيمانه بقيامة يسوع من بين الأموات فأجاب "إن أحد الأسباب هو أنني كنت أتحدث معه في هذا الصباح لمدة نصف ساعة".

تحيء مع حقيقة قيامه المسيح حقائق أخرى ثمينة:

1- القيامة أكملت على الصليب

إن مسيحياً ميتاً لا يمكن أن يكون مخلصاً بقيامته أكدت أن الله قد قبل عمله الكفاري على الصليب. "الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا" (رومية 25:4).

وبولس يقول "وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم. أنتم بعد في خطاياكم" (1 كورنثوس 15:17).

إن موت المسيح وقيامته يؤلفان قلب الإنجيل الذي نادى به بولس "وأعرفكم أيها الأخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه وبه أيضاً تخلصون إن كنتم تذكرون أي كلام بشرتكم به إلا إذا كنتم قد آمنتم عبثاً فإني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دُفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب" (1 كورنثوس 15: 1-4).

2 - تقدم الدليل على الحياة بعد الموت

منذ العهد القديم والإنسان يبحث عن دليل مقنع عن الخلود. فأيوب صرخ متسائلاً "إن مات رجل أفيحياً؟" (أيوب 14:14). فكانت قيامة المسيح هي الجواب عن هذا السؤال الذي طالما تردد صداه في الأجيال الخوالي.

وبولس يقول "الذي خلّصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل" (2 تيموثاوس 1:9-10).

إن قيامة المسيح تعلن أن الموت ليس النهاية وأن هناك حياة بعد الموت.

3- قدمت الوعد بقيامة شعب المسيح وبينت صورة هذه القيامة في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس 15: 20 نجد هذه العبارة مخطوطة بريشة بولس: "ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقيدين". إن بواكير الثمار التي كانت تقدم للرب كانت الوعد بحصاد قادم ونوع هذا الحصاد.

إن الشعب بتقديمه لبواكير ثمارهم كانوا يعبرون عن تأكدهم بأن بركة الله ستعطيهم حصاداً. كما إن بواكير هذه الثمار كانت عينة ترمز إلى نوع الحصاد المزمع أن يأتي.

وهكذا فقيامه المسيح إنما هي تأكيد لقيامه الموتى "لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع ولكن كل واحد في رتبته. المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه" (1 كورنثوس 15: 55).

ثم أن قيامه المسيح قد قدمت لنا نوعية الجسد المقام وما سيكون عليه. "فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً نتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده" (فيلبي 3: 20-21) وكما يقول يوحنا أيضاً "أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه مثلما هو" (1 يوحنا 3: 2).

تمجيد المسيح

بقي المسيح بعد قيامته أربعين يوماً على الأرض يظهر فيها لرسله بين الفينة والفينة. ثم صعد إلى السماء حيث جلس عن يمين الله.

ولوقا ينهي إنجيله بوصف لصعود الرب فيقول "وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا. ورفع يديه وباركهم وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأصعد على السماء" (لوقا 24: 50-51).

وفي سفر أعمال الرسل يتدئ لوقا الأصحاح الأول من حيث أنهى إنجيله فيعيد على مسامعنا قصة الصعود قائلاً: "ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون وأخذته سحابة عن أعينهم" (أعمال 1: 9).

ومواضع أخرى من الأسفار المقدسة تخبرنا عما حدث بعد السحابة "لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (فيلي 2: 9-11).

"وأما هذا فبعد ما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله" (عبرانيين 12: 10). "الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهيناً بالخزي فجلس عن يمين عرش الله" (عبرانيين 12: 20).

إن الجلوس عن اليمين هو موضع الشرف والقوة وهذا يؤيده قول يسوع لتلاميذه "دُفع إلي كل سلطان في السماء وعلى الأرض" (متى 18: 28). فما الذي يعنيه تمجيد المسيح بالنسبة لشعبه؟

1- شفيع عند الآب

هناك عن يمين الله من يشفع فينا "وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار" (يوحنا 1: 2).

"فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم" (عبرانيين 7:25).

إن للمسيحي شفيعين: الروح القدس في قلبه والمسيح عن يمين الله. ويخبرنا بولس عن هذين الشفيعين في الأصحاح الثامن من رسالته إلى أهل رومية وفي العدد 26 فيقول "ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنا لا ينطق بها" كما يقول في العدد 34 من ذات الأصحاح "المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضاً الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا".

ما الذي يستطيع المسيح أن يقوله كمحام عنا؟ في المحاكم الأرضية يقوم المحامي مقام موكله فيدافع عنه إما بأنه غير مذنب أو بأن ذنبه جنحة أو الجهل بالقانون. ولكن يسوع محامينا لا يستطيع أن يدافع بمثل هذه البيئات. فنحن مذنبون وأخطأنا مراراً وعن معرفة خرجنا على ناموس الله. ولكن هناك دفاعاً واحداً يدافع به محامينا عنا وهو موته الكفاري على عود الصليب.

2- رب مالك

في يوم الخمسين وقف بطرس واعظاً فقال "فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً" (أعمال 2:36).

هناك أشياء تتعلق بربوبية المسيح لا بد من ذكرها:

(1) ربوبية مطلقة. ليس لها حدود أو قيود. وهي سامية ذات سلطان.

وكلامه هو القول الفصل الذي لا يناقض.

هو رأس الكنيسة. فهي في نظامها، وفرائضها، في عملها ورسالتها مرتبطة برؤية المسيح. إن الفرد المسيحي لا يعرف سيداً معلماً إلا المسيح. فقد قال يسوع لتلاميذه "ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح" (متى 23:10). وقال لهم ثانية "أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك" (يوحنا 13:13).

(2) ربوية شاملة. إنها شاملة من عدة وجوه. إنها شاملة لأنها تمتد وتسيطر على كل نواحي الحياة. فالإنسان لا يستطيع أن يقر برؤية المسيح في ناحية من حياته وينكره في الناحية الأخرى. فهو رب على جميع النواحي. هو الرب في حياة الفرد الدينية، وهو الرب في حياة الفرد البيئية، كما أنه الرب في حياة الفرد العملية، وهو الرب في حياة الفرد الاجتماعية. هو رب في يوم الاثنين وإلا لا يكون رباً في يوم الأحد. هو الرب في البيت وإلا لا يكون الرب في الكنيسة. إنه الرب في العمل وإلا فهو ليس الرب في الدين. إنه الرب دائماً وإلا فهو ليس الرب أبداً. إنه الرب في كل مكان وإلا فهو ليس رباً في أي مكان.

ربويته شاملة بمعنى أنها تشمل الكون بكامله. وبولس يجهر قائلاً "التجثو لاسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض". فهو رب على الأرض وهو رب في السماء. وهو رب البشر ورب الملائكة. هو رب الأحياء ورب الأموات. إنه الرب في كل مكان ورب كل الخلائق.

(3) ربوبية أبدية. سيظل المسيح رباً إلى منتهى الدهر. هو رب اليوم ورب الغد. يحدث أحياناً أن يخلع بعض أرباب الأرض ويحل محلهم آخرون ولكن لن يحل محل يسوع أحد. "يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد" (عبرانيين 8:13). سمعت عن إنسان وضع بدل الأرقام على وجه ساعته الكلمات "المسيح هو رب" وعندما سئل عن الحكمة من عمله هذا أجاب "إنها تذكرني بأن المسيح هو رب مهما كان الوقت".

3- ملك منتصر

قال أشعيا في وصفه للمسيح المنتظر "لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته" (أشعيا 4:42). كما نقرأ أيضاً في كورنثوس الأولى 25:15 "لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه. قد يظهر أحياناً أن هناك انكسارات على طول الطريق ولكن يسوع سينتصر في النهاية. يقول يوحنا في الأصحاح التاسع عشر من رؤياه واصفاً رؤيا عجيبة رآها أنه رأى السماء مفتوحة، وإذا بفرس أبيض يمتطيه واحد عيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وقد تسربل ثوباً مغموساً بالدم وأجناد كانوا يتبعونه على خيل بيض يرتدون بزاً أبيض، ومن فمه يخرج سيف ماض وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب: "ملك الملوك ورب الأرباب".

أسئلة للمراجعة والامتحان

1- ما هي البراهين على أن المسيح كائن منذ الأزل؟

2- قدم ثلاثة براهين على لاهوت المسيح.

- 3- أكتب ثلاث حقائق تتعلق بموت المسيح.
- 4- ما هي مكانة قيامة المسيح في خطة الخلاص؟
- 5- ماذا يعني تمجيد المسيح بالنسبة إلينا؟

الفصل السادس الخلاص العظيم

"فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره" (عبرانيين 2:3)
 بحثنا في الفصل السابق في تدبير الله لخلاص الجنس الهالك، بواسطة ابنه الذي
 وهبه لنا. إذ أنه بموته التكفيري وقيامته المجيدة مهد سبيل الخلاص أمام البشر جميعهم.
 ولكن هذا لا يعني أن الكل سيخلصون فهناك شروط لا بد من مراعاتها قبل أن
 يستطيع الفرد أن يخلص.

اختبار الخلاص

جعل الله طريقة واحدة لخلاص جميع البشر "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان
 وذلك ليس منكم هو عطية الله" (أفسس 2:8). الخلاص بنعمة الله ممكن بالإيمان
 الشخصي بالرب يسوع المسيح. هذا وليس لدى الله طريقة أخرى للخلاص.
 يريدنا البعض أن نؤمن بأن الناس في العهد القديم كانوا يخلصون بحفظ
 الناموس. ولكن بولس في رسالته إلى أهل غلاطية كما في رسائله الأخرى يصحح هذا
 الرأي الخاطئ قائلاً "إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع
 المسيح... لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما" (غلاطية 2:16).
 ثم يستمر بولس فيرينا كيف أن إبراهيم وغيره من قديسي العهد القديم
 الآخريين قد خلصوا بالإيمان وليس بحفظهم الناموس "كما آمن إبراهيم فحسب له برًا"
 (غلاطية 3:6).

وكما قال يسوع "أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي فرأى وفرح" (يوحنا 8:56).

ونجد في عبرانيين 11: 24-26 هذه العبارة فيما يتعلق بموسى "بالإيمان موسى لما كبر أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون مفضلاً بالأحرى أن يذل مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتي بالخطية حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر". إذاً فقد خلص هؤلاء الناس بإيمانهم بيسوع الذي كان مزمعا أن يأتي كما خلصنا نحن بالإيمان بالمسيح أتى.

وهناك أربعة أوجه لاختبار الخلاص:

1- الاهتداء

للخلاص جانبان، جانب الله وجانب الإنسان. الجانب الإلهي هو الولادة الجديدة الصائرة بالروح القدس في قلب المؤمن وهذا ماسنبحثه في الفصل القادم، عند دراساتنا لعمل الروح القدس، كما أننا سنبحث أكثر في عمل الله في الخلاص خلال تعمقنا في دراسة هذا الفصل. أما الآن فسنقصر بحثنا على جانب الإنسان في الخلاص وسنسميه "الاهتداء" والاهتداء معناه التحول فعندما يختبر أي إنسان الخلاص فإنه يغير وجهة سيره وهناك درجتان أو خطوتان يخطوهما الإنسان في هذا الاختبار.

(1) التوبة. قبل أن يخلص الإنسان يجب أن يتوب عن خطاياها. ولكن ما هي التوبة؟ التوبة، أولاً شيء أكثر من الشعور بالذنب. لا يقدر الإنسان أن يخلص حتى يشعر بتبكيته على خطاياها. وهذا هو الفرق الذي كان بين الفريسي والعشار وقد صعد كلاهما إلى الهيكل يصليان. لم يفكر الفريسي بأنه خاطئ ولم يشعر بأي تبكيته

على الخطية بينما صرخ العشار "أهم ارحمني أنا الخاطيء" (لوقا 18:13) أي أنه أدرك حالته الخاطئة أمام الله. ولكن الشعور بالذنب وحده ليس توبة. لأنه قد يشعر الفرد بتبكيته شديد على الخطية ولكنه لا يتوب. قليلون في هذا العالم هم الذين لم يدركوا- أحياناً - أنهم خطاة. فيهوذا الاسخريوطي عرف أنه أخطأ ولكنه لم يتب. لقد شعر بالحزن من جراء ما فعل ولكن حزنه هذا لم يؤدّ به إلى التوبة بل إلى الانتحار.

ثانياً، التوبة تعني أكثر من الحزن على الخطية. فكثيرون حزنوا لأنهم خطاة ولكنهم لم يتوبوا. والكتاب المقدس يذكر لنا نوعين من الحزن. الحزن الذي حسب مشيئة الله والحزن الذي حسب العالم: "لأن الحزن بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة. وأما حزن العالم فينشئ موتاً" (2 كورنثوس 7:10).

إن حزن العالم هو ذلك النوع من الحزن الذي يشعر به العالم. إذ أنه قد يكون حزناً مسبباً عن افتضاح خطايا الفرد، ولأن على هذا الفرد أن يواجه النتائج المترتبة عليها. ولهذا السبب فإن التوبة على فراش الموت قل أن تكون توبة حقيقية. قبل بضع سنين زرت إنساناً كان يعتقد أنه قريب من الموت. وقد أظهر لي ندامة عميقة على خطاياها. ولكن ما إن شفاه الله حتى عاد إلى حياته الأولى وإلى مسلكه القديم. إن الحزن الذي حسب مشيئة الله يصدر عن إدراك الإنسان لطبيعة الخطية الفظيعة وأنها شيء ضد الله. هذا النوع من الندم ليس توبة ولكنه - حسب ما يقول بولس - يقود إلى التوبة.

ثالثاً، التوبة تغيير في التفكير من جهة الخطية وعلاقتها بالله ومن ثم فهي تغيير للحياة. التوبة هي التحول عن الخطية مخافة للرب. إن مجرد الإصلاح لا يعدّ توبة حقيقية فالإنسان قد يصلح من ذاته لأسباب مختلفة.

إنما التوبة الخالصة اختبار داخلي يكشف عن نفسه بتغيير ظاهر في مجرى حياة الفرد. وهذا التغيير الظاهر قد يكون أبرز في البعض منه في البعض الآخر إذ أنه يعتمد على تعمق الفرد في الخطية. وكلما عظمت الخطية كلما كان التغيير الظاهر أكثر بروزاً ووضوحاً. ولكن التوبة اختبار ضروري للجميع. لأن الكل أخطأوا. قد يشعر الشخص بتبكيته على خطيته ثم هو يرى الخطية بالنسبة لعلاقتها بالله القدوس. ولذلك يصمم في قلبه على هجر خطاياها. أما هذا التغيير الظاهري في سيرته في الحياة فهو ثمرة التوبة. طلب يوحنا المعمدان من الفريسيين والصدوقين قائلاً "اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة" (متى 3: 8). وبهذه الطريقة يثبتون أنهم قد تابوا حقاً.

رابعاً التوبة اختبار ضروري. التوبة ليست الخلاص ولكنها شيء يرافق الخلاص، شيء بدونه لا يمكننا اختبار الخلاص. ولذلك فالأسفار المقدسة تصر على ضرورة التوبة فقد قال يسوع لأناس عصره "إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون" (لوقا 13: 3).

خامساً، التوبة الحقّة مصحوبة برد المسلوب. فعندما يتوب الشخص توبة صحيحة يصمم ليس على عدم السير في الخطية فقط ولكن عليه، ما دام باستطاعته، أن يعرض عن خطايا الماضي. بالطبع هناك أشياء كثيرة فعلها الإنسان ولا يستطيع أن

يعوض عنها. ولكن هناك أشياء كثيرة يستطيع أن يعوض عنها. فإن كان التائب سارقاً فالتوبة بالنسبة له ليست التصميم على الامتناع عن السرقة فقط ولكن أيضاً رد الأشياء التي سرقها. لأن زكا عندما اختبر التوبة الحقّة وقف أمام الشعب وقال "إن كنت قد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف" (لوقا 8:19).

هذه هي إذاً الخطوة الأولى في اختبار الاهتداء. وهي التوبة، أي الرجوع عن كل الخطايا المعروفة.

(2) الإيمان. إن الإيمان الذي يمنح الخلاص ليس إيماناً بكتاب، حتى ولو كان هذا الكتاب هو الكتاب المقدس. وليس إيماناً بعقيدة مستقيمة. وليس إيماناً بمؤسسة حتى ولو كانت هذه المؤسسة كنيسة. إن الإيمان الذي يخلص هو الإيمان بالرب يسوع المسيح.

قال بولس أنه يعظ "بالتوبة إلى الله والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح" (أعمال 21:20). يجب أن تكون التوبة لله، لأن الخطية ضد الله. والإيمان يجب أن يكون بالرب يسوع المسيح لأنه هو الذي كفر عن خطايانا. هناك عدة عناصر في الإيمان.

أولاً، هناك التصديق، ويعتبر العنصر العقلي في الإيمان. فحتى يخلص الإنسان عليه أن يصدق شيئاً وبما أن الإيمان هو بالرب يسوع المسيح فيجب عليه أن يصدق شيئاً عن المسيح. يجب عليه أن يسلم عقلياً بحقيقة شخص المسيح وعمله كما هو في العهد الجديد.

أما أقل ما يمكن أن يؤمن به الإنسان ومع ذلك يخلص فهذا ليس للإنسان أن يقدره. كم أحب عبارة قالها راع صديق قبل بضع سنين: "إني أفضل أن أومن كثيراً جداً من أن أومن قليلاً جداً". ولكن التصديق في حد ذاته ليس الإيمان الذي يخلص. فقد يصدق الفرد كل ما ورد في الكتاب المقدس مما له علاقة بالمسيح، ومع ذلك لا يكون مسيحياً حقيقياً.

ثانياً، لا بد من القبول. فحتى يخلص الفرد لا بد من أن يقبل يسوع المسيح مخلصاً شخصياً له. يجب أن يعتبر عمل المسيح المخلص خاصاً به. فقد يؤمن الفرد بأن الطعام يحفظ الحياة وينمي الجسم. ولكنه سيموت جوعاً إن لم يتناول الطعام. وعليه، فقد يعتقد فرد بأن المسيح قد مات من أجل خطاياه وكفر عنها جميعاً ومع هذا فقد يموت في خطاياه إن لم يقبل المسيح مخلصاً شخصياً له. "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه" (يوحنا 12:1).

ثالثاً، الإيمان يشتمل على التسليم. فالإيمان المخلص ليس الاعتقاد بالمسيح وقبوله فقط لكنه التسليم للمسيح. هو أن يشعر الإنسان بالتبكي من جراء خطاياه ويعرف أنه هالك ويرى في يسوع المسيح أمله الوحيد فيسلم ذاته له.

مثل هذا الاختبار مثل رجل سقط في بحر هائج فراحت الأمواج تتقاذفه بعيداً عن الشاطئ، ولكن قارباً من قوارب النجاة أقبل لنجدته. قد يؤمن هذا الإنسان اليأس بأن هذا القارب سيوصله سالماً إلى الشاطئ، وبأن البحار الذي في القارب بحار ماهر يستطيع التغلب على صاحب الموج ليقود القارب في مجراه، ولكنه لن ينقذ حتى

يتسلق جانب القارب ويرمي بنفسه إلى قاعه ويستسلم لعناية البحار. والخاطئ قد يؤمن بأن المسيح قد كفر عن خطاياها وبأنه قادر أن يخلصه من خطاياها ولكنه لم يخلص أبداً حتى يسلم ذاته للمسيح.

هاتان هما الخطوتان اللازمتان للتجديد. التوبة لله والإيمان بالرب يسوع

المسيح.

2- التبرير

إن اختبار الخلاص هو أكثر من الاهتداء، والتحول عن الخطية أو الرجوع إلى الرب يسوع المسيح. وهو أكثر من التجديد أو الولادة الجديدة بروح الله. إن الإنسان عندما يتوب عن خطاياها ويضع ثقته بالمسيح يغفر له الله خطاياها. لكن الله يعمل أكثر من هذا أيضاً، إنه يستعيد الخاطئ إلى الرضى الإلهي.

عندما عاد الابن الضال إلى بيت أبيه، سأل أباه أن يصفح عنه ويجعله أحد خدامه. لكن الأب لم يصفح عنه فحسب بل أعاده إلى موضعه في البيت وعامله كأنه لم يضل. هذا هو بالضبط ما يفعله الله للخاطئ الذي يرجع إليه بالتوبة والإيمان فهو لا يغفر له فحسب ولكنه يعيده إلى رضاه الإلهي ويعامله وكأنه لم يخطئ. هذا ما ندعوه تبريراً، أي العمل الذي يعملها الله ليعلن أن الخاطئ قد أصبح باراً بالإيمان بالمسيح.

لقد قال بولس الكثير عن التبرير. أعلن أن البشر يتبررون بالإيمان، وليس بأعمال الناموس. ومن أهم ما جاء في رسالته إلى أهل رومية 1:5-2 قوله "فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون، ونفتخر على رجاء مجد الله". إن هذه

الأعداد لتصرّح بأنّ التبرير عمل الله المتجاوب مع إيمان الإنسان والذي ينتج السلام مع الله، والدخول إلى النعمة الإلهية والفرح المقيم.

3- التبني

إن الله لا يسامح المؤمن ويبرره فقط ولكنه يضمه إلى عائلته ويجعله ابنه الخاص " إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب " (رومية 8:15).

إنه لعجيب حقاً أن يصفح الله عنا ويعيدنا إلى الرضى الإلهي، ولكن أعجب العجائب كلها أن نعتبر أبناء الله. لقد كان هذا الأمر عجباً حتى في نظر يوحنا التلميذ الحبيب الذي حينما تأمل بهذه الحقيقة المباركة صرخ قائلاً "انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله" (1 يوحنا 3:1). وليس البشر أبناء الله بالطبيعة، لأنهم جميعاً بالطبيعة أبناء الغضب (أفسس 2:3) ولكنهم يصبحون أبناء الله بالإيمان بالمسيح "لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع" (غلاطية 3:26).

4- التقديس

من طبيعة الأطفال الاعتياديين أن ينموا، وإذا ظل الطفل عاجزاً عن النمو جسماً وعقلياً فلا بدّ لابن الله من أن ينمو في قوامه الروحي. فالإنسان بعد ولادته بروح الله يكون طفلاً بالمسيح. ولكن المسيحي الصحيح لا يبقى طفلاً. ففي رسالة بطرس الأولى 2:2 يقول الرسول "وكأطفال مولودين الآن اشتهاوا اللبن العقلي العديم الغش لكي تنموا به". ثم ينهي رسالته الثانية بهذا القول "ولكن انموا في النعمة وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح".

أما بولس فقد عبّر عن هذا النمو بقوله "إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح كي لا نكون في ما بعد أطفالاً مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم" (أفسس 4:13-14).

هذا النمو في الاختبار المسيحي هو ما يعرف بالتقديس. إنه عمل لا يتم في هذه الحياة كما يدعي البعض بل هو تقدّم وتدرّج يصل إلى تمامه عندما يشاهد المسيحي وجه الرب المجد. "أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو" (يوحنا 3:2).

التقديس يبدأ باختبار التجديد، ثم يتدرج بعمل الروح القدس في القلب والحياة ثم يصل إلى تمامه المجيد في حضرة الرب. كما قال الحكيم قديماً "أما سبيل الصديقين فكنور مشرق يتزايد وينير إلى النهار الكامل" (أمثال 4:18). إنه يبدأ بنور فجر الولادة الجديدة ويشع ببهاء متزايد كلما ارتفعت الشمس في الحياة اليومية ثم يصل إلى أوج علاه في مجد اليوم الخالد.

بعض الحقائق عن الخلاص

لا بد من التفكير الواضح والانتباه الدقيق في دراستنا للأسفار المقدسة خاصة فيما يتعلق بهذا الموضوع الحيوي، لأن هذه هي النقطة التي طالما يخطئ البشر فيها.

1. هبة مجانية

"أما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا" (رومية 6:23). لا يستطيع البشر شراء الخلاص كما لا يستطيعون اكتسابه بالأعمال الصالحة "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله ليس من أعمال كيلا يفتخر

أحد لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها" (أفسس 2:8-10)

فنحن لا نخلص بالأعمال الصالحة، ولكن لأعمال صالحة. وهذا كان درساً صعباً على الناس تعلمه. فقد أصروا على نيل الخلاص بأعمالهم الصالحة أو بسلوكهم وأخلاقهم الحسنة. ولكن الخلاص هبة الله المجانية ولن يحوزه إنسان إلا إذا رغب في قبوله هبة مجانية. ولكن قائلاً يقول ألم ينادِ بولس: "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة؟" (فيلبي 2:12). ولكن لنعلم أن بولس قد خاطب بكلماته هذه أناساً مؤمنين لأنه في العدد التالي يقول "لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة". فالله هو الذي يعمل في داخل الإنسان والإنسان يتمم هذا العمل في الظاهر.

إن مثل هذا كمثل والد أعطى ولده مزرعة. فالمزرعة لم تكلف الابن شيئاً إذ أنها هبة مجانية من والده. ولكن ما ينتجه الابن منها يعتمد على ما يضعه فيها. فإن هو أهملها فهي ستنتب أعشاباً وشوكاً ولن تعطي ثمراً. ولكن إن هو اعتنى بها فإنها ستعطي محاصيل وافرة.

وهكذا الخلاص هبة مجانية من الله لم يكلف الفرد الذي قبله أي شيء. ولكن ما يجنيه من الحياة المسيحية يعتمد على ما يزرعه فيها. فإن كان مهملاً عديم العناية فستكون حياته في حالة فقر روحي مدقع. ولكن إن هو بذل جهده فيها فسيحصل على مكافأة وفيرة. وهذا ما عناه بولس في قوله "إن بقي عمل أحد قد بناه

عليه فسيأخذ أجرة. إن احترق عمل أحد فسيخسر وأما هو فسيخلص ولكن كما بنار" (1 كورنثوس 3: 14-15).

2. اختبار شخصي فردي

إن كلمة الله تعظم قيمة الفرد وكرامته الشخصية البشرية. وفي اختبار الخلاص فإن الله لا يتعامل مع البشر كعائلات أو جماعات. قد يخلص عددًا من الناس في وقت واحد، ولكن لا بد من أن يختبر كل واحد الخلاص لنفسه. "فإذاً كل واحد منا سيعطي عن نفسه حساباً لله" (رومية 12: 14).

هذا ما أندر به بولس مسيحي رومية. وبما أن هذا حق فإنه ينتج لنا حقيقتين يجب التأكيد عليهما.

(1) كفاءة النفس. للفرد ملء الحق في أن يتعامل مع الله من أجل نفسه. وهذا ما نعبر عنه أحياناً بالكفاءة النفسية فالفرد لا يحتاج إلى كاهن أو كفيل في اقترابه من الله. فهو قادر أن يأتي مباشرة إلى الله دون مساعدة إنسان أو مؤسسة. يجب أن يتعامل مع الله بنفسه. لأنه لا يستطيع أحد أن يجيب عنه أمام الله. ولا يمكن أن تقوم هناك ديانة نياوية. قد يساعد الوالدون والأصدقاء في تقريب الفرد إلى الله. ولكنهم لا يمكنهم أن يتعاملوا مع الله بدلاً منه.

(2) حرية النفس. للفرد ملء الحق في أن يتعامل مع الله بنفسه. وهذا حق لا يمكن لفرد أن يسلبه إياه. هذا ندعوه حرية النفس. فالفرد يجب أن يكون حراً في أن يقرأ ويفسر كلمة الله لنفسه. ويجب أن تكون له الحرية لأن يعبد الله حسب توجيهات ضميره.

فلا حق للإنسان أو للمؤسسات أن تحول بين النفس وبين الله أو أن تعيق النفس من تقربها الى الله فما دام الفرد مسؤولاً أمام الله عن نفسه فهو إذاً حر بان يتقرب بنفسه الى الله. قد يساعده الآخرون ولكن لا حق لهم في ان يعيقوه.

3. اختبار ثلاثي

للخلاص ثلاث مراحل.. اختبار أولي - تجديد، اختبار نام - تقديس، اختبار نهائي - تمجيد، أي خلاص من لعنة الخطية، خلاص من سلطة الخطية، وأخيراً الخلاص من حضور الخطية. والخلاص من الخطية له ثلاث صيغ:

ماض، (تخلصنا) وهذا هو التجديد (أفسس 2:5-8)، حاضر، (نحن نخلص) وهذا هو التقديس (فيلبي 2:12)، مستقبل، (سنخلص) وهذا هو التمجيد (رومية 9:5، 11:13).

4. أبدي في مداه

عندما يخلص الإنسان حقاً فإنه يكون قد خلص إلى الأبد. فقد قال يسوع "خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي، أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي" (يوحنا 10:27-29).

تسمى هذه الحقيقة من الناحية البشرية ثبات القديسين، أما من ناحية الله فتسمى الحفظ الإلهي.

فالقديسون يثبتون والله يحفظهم "واثقاً بهذا عينه أن الذي ابتداءً فيكم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح" (فيلبي 1:6). "أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يعلن في الزمان الأخير" (بطرس 1:5).

ولا يتمشى هذا مع وعد الله فحسب ولكن مع الكلمات التي استعملت في وصف الخلاص. وعندما يؤمن إنسان بالرب يسوع المسيح فإنه ينال هبة الحياة الأبدية. "الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية" (يوحنا 3:36).

وما دامت أبدية فلا يمكن أن تتوقف ولكنها تدوم إلى الأبد.

5. يدعو إلى الاعتراف العلني

قال بولس "لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت أن الله أقامه من الأموات خلصت. لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص" (رومية 10:9-10). هل يخلص شخص لم يعترف بإيمانه بالمسيح علناً أم لا يخلص؟ هذا ما لا يستطيع الإنسان أن يقوله. ولكنه من المؤكد أن الشخص الذي يرفض الاعتراف العلني بإيمانه لا يختبر الشبع الكامل في الخلاص.

6. يظهر ذاته بالطاعة

هذه هي كلمات ربنا "إن أحبني أحد يحفظ كلامي" (يوحنا 14:23). كما يقول في العدد الرابع والعشرين من ذات الأصحاح "الذي لا يحبني لا يحفظ كلامي" وكاتب الرسالة إلى العبرانيين يقول "وإذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي" (عبرانيين 5:9). الخلاص إذاً يظهر ذاته بالطاعة.

والطاعة لها وجهان إيجابي وسلبي. فهي تعني الامتناع عن كل شر، "وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم" (يعقوب 1:27). وهي تعني أيضاً عمل ما هو صالح وتكريس الحياة لخدمة الله. إن وجهي الطاعة يظهران في رومية 1:12-2 "فأطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية. ولا تشاكلوا هذا الدهر. بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة".

7. الخلاص مهياً لكل البشر

إن الأسفار المقدسة تعلن أن الله يتأني علينا "وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة" (2 بطرس 3:9) "الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون" (1 تيموثاوس 2:4).

إن محبة الله الشاملة لكل العالم هي التي جعلته يرسل ابنه إلى العالم "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا 3:16).

ولخلاص العالم مضى يسوع إلى الصليب ومات: "وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً" (1 يوحنا 2:2).

لقد فوّض الله كنيسته لنشر الإنجيل لكل العالم: "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم" (متى 28:19).

كان من الصعب على اليهود قبول هذه الحقيقة. فقد ظنوا أن الخلاص لليهود فقط. وعندما حمل بطرس رسالة الإنجيل بقوة الروح القدس إلى بيت كرنيليوس

أحدث شيئاً من البلبلة في كنيسة أورشليم التي كانت في ذلك الحين مؤلفة من يهود مسيحيين. ولكن "ليس عند الله محاباة". وليس له شعب مفضل بين الأمم. لقد منح البعض فرصاً أعظم مما منح الآخرين ولكن الفرص العظيمة تحمل معها دائماً مسؤوليات جسيمة.

عقيدة الاختيار

إن عقيدة الاختيار في الكتاب المقدس كانت حجر عثرة للكثيرين. فالأسفار المقدسة تعلن أن الله قد اختار أفراداً معينين للخلاص، حتى قبل أن يولدوا "لأنه وهما لم يولدا بعد ولا فعلاً خيراً أو شراً لكي يثبت قصد الله حسب الاختيار ليس من الأعمال بل من الذي يدعوا قيل لها أن الكبير يستعبد للصغير كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو" (رومية 9:11-13).

والعبارة الواردة في أفسس (4:1-5) أقوى من هذه العبارة أيضاً "كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته".

وفي 2 تسالونيكي 2:13 يقول "وأما نحن فينبغي لنا أن نشكر الله كل حين لأجلكم أيها الأخوة المحبوبون من الرب أن الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق الحق". وهناك آيات أخرى كثيرة يمكن اقتباسها من الكتاب المقدس تظهر فيها عقيدة أو تعليم الاختيار.

ترى هل يبين لنا مثل هذا التعليم محاباة من جانب الله وهدماً لحرية الفرد؟ لا ينكر أحد أن هناك بعض الغموض في هذه العقيدة أو هذا التعليم. وبالطبع لا يستطيع

أحد الادعاء بشرحها شرحاً وافياً. ولكن الأسفار المقدسة تقول إن الاختيار قائم على سابق علم الله: "لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشاهدين صورة ابنه" (رومية 8:29) "المختارين بمقتضى علم الله الآب السابق في تقديس الروح للطاعة ورش دم يسوع المسيح" (بطرس 1:1-2). إن الله غير محدود بزمان وليس عنده حاضر أو ماض أو مستقبل ولكن له وجوداً أبدياً وهو عالم بكل الأشياء منذ البداية. وهكذا فاختيار الله لا يلغي حرية الإنسان في الاختيار كما أنه عالم بما سيختاره الإنسان وهذه الآيات المأخوذة من الأسفار المقدسة تلقي بعض الضوء على هذه العقيدة الصعبة أو الغامضة ولكنها لا تشرحها شرحاً وافياً.

لا يحتاج الإنسان، لكي يخلص أن يفهم جميع العقائد المتعلقة بالخلاص. فقد جعل الله خطة الخلاص في منتهى البساطة في منتهى البساطة والوضوح حتى يستطيع أي صبي أو بنت أن يعمل بها. إن كلمة الله لا تقول لك: "افهم وفسر كل الحقائق التي يعتمد عليها الخلاص لكي تخلص"، ولكنها تقول: "آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص" (أعمال 16:31).

يعثر كثيرون من الناس ولا تعجبهم خطة الخلاص وسبب ذلك أن تلك الخطة بسيطة للغاية. فهؤلاء يظنون أن لا بد لهم أن يعملوا شيئاً به يساعدون الله لكي يخلصهم. ولكن الكلمة تقول: "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان، وذلك ليس منكم - هو عطية الله، ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد" (أفسس 2:8-9).

عندما أراد المسيح مرة أن يفسر الخطة التي وضعها الله للخلاص أشار إلى حادثة وقعت قديماً لبني إسرائيل في أثناء تجوالهم في البرية. وذلك كان أن تدمروا بسبب ما لاقوا من الشدائد في سيرهم في البرية، فعاقبهم الله بأن أرسل عليهم حيات محرقة زحفت إلى خيامهم فلدغت كثيرين من أفراد الشعب. فصرخ الشعب إلى الله طالبين الرحمة. عندها أمر الله موسى أن يصنع حية نحاسية ويرفعها على رأس سارية في وسط المخيم. ووعده الله أن كل من لدغته إحدى الحيات يستطيع أن يبرأ وينجو من الموت إن هو رفع عينيه ونظر إلى الحية النحاسية (انظر سفر العدد 21:4-9).

وطبّق المسيح هذه الحادثة فقال: "وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا 3:14-15).

أسئلة للمراجعة والامتحان

- 1- ما هما خطوتاهما للاهتداء؟
- 2- ما هي العناصر الثلاثة التي تدخل في الإيمان؟
- 3- ما الذي نعنيه بالتقديس؟
- 4- ما الذي نعنيه بقولنا الخلاص يتم في ثلاث مراحل؟
- 5- ناقش الخلاص كاختبار شخصي.

الفصل السابع

روح القوة

"لكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم" (أعمال 1:8).

إن أول ذكر للروح القدس في الكتاب المقدس وارد في العدد الثاني من الأصحاح الأول من سفر التكوين "وروح الله يرفّ على وجه المياه". ثم يلي ذلك آيات كثيرة في العهد القديم كلها تشير إلى الروح القدس. وهذه الإشارات كانت عادةً تتعلق بمنح هبة أو انسكاب قوة.

فهو الذي يهب الإنسان الحكمة والبراعة "وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة" (خروج 31:3). كما أنه مانح القوة للقيام بأعمال خاصة "وإذا بشبل أسد يزجر للقائه فحلّ عليه روح الرب فشقه كشق الجدي" (قضاة 5:14-6).

وهو الذي أوحى للأنبياء لينطقوا برسالة الله "فدخل فيّ روح لما تكلم معي وأقامني على قدميّ فسمعت المتكلم معي" (حزقيال 2:2).

كما أن بطرس يعلن أن الروح القدس هو الذي قاد كُتّاب أسفار العهد القديم "بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس" (2 بطرس 1:21).
إلا أننا نجد التعليم الوافي عن الروح القدس في العهد الجديد.

شخص الروح القدس

الروح القدس هو الأقنوم الثالث في الوحدة الإلهية.

1- الروح القدس أقنوم أو شخص

إن لفظة "شخص" كما هي مستعملة فيما يختص بالثالوث غير واردة في الأسفار المقدسة. ومن الواضح أننا عندما نستعملها لا نعني بها ذات المعنى الذي تعنيه الكلمة في استعمالنا العادي لها. فعندما نتكلم عن شخص فإننا نقصد فرداً مستقلاً، ولكن عندما نتكلم عن ثلاثة أشخاص أو أقانيم في الثالوث الأقدس فإننا نشير إلى مميزات داخلية في الله.

يقول الدكتور ملنز "إن الشخص الإلهي ليس أقل كياناً من الشخص البشري ولكنه أعظم". إن طبيعة هذه المميزات في الله لا يمكن تعريفها بعقولنا المحدودة. كما أن الأسفار المقدسة تبين الروح القدس كائناً ذا شخصية وليس مجرد تأثير أو قوة عاملة في العالم.

1- العمل الذي يقوم به. يتكلم الوحي عن الروح القدس على أساس أنه يعمل كشخص. فهو يشهد ويبيك ويعزي ويعلم ويقود ويجاهد ويساعد. إن أعمالاً كهذه لا يمكن أن يعملها إلا من كان شخصاً.

2- تأثير الأعمال البشرية عليه. الروح القدس كشخصية يتأثر بأعمال الآخرين فهو قد يُقاوم ويُحزن ويُغاضب ويُهان ويُجذف عليه. الشخص فقط هو الذي يمكن أن يتأثر هكذا بأعمال الآخرين.

2- الروح القدس هو الله

إن الأسفار المقدسة لا تبين الروح لنا كشخص فقط ولكن كشخص إلهي.

(1) يدعى إلهاً. عندما وبّخ بطرس حنانيا قال "لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس" (أعمال 5:3). ثم يستطرد في العدد الثاني ليقول "أنت لم تكذب على الناس بل على الله".

(2) صفات الله منسوبة إليه. يقال عن الروح القدس أنه موجود في كل مكان: "أين أذهب من روحك؟ أين أهرب" (مزمو 7:139). ووُصِف بأنه عالم بكل شيء: "لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله" (1 كورنثوس 2:10). ومن صفاته أيضاً أنه كلي القدرة: "ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء" (1 كورنثوس 11:12).

(3) أنه يعمل عمل الله. الروح القدس يبكت على الخطية، وهو العامل في التجديد، أو الولادة الجديدة. ففي رومية 8:11 قيل عن القيامة أنها عمل الروح القدس: "وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم".

الوعد بالروح القدس

وكما أن الإعلانات عن الروح القدس كانت قائمة في زمن العهد القديم كان من الضروري أن يحصل إعلان خاص لحضوره وقوته. وكان لازماً أن يأتي بطريقة معينة ويسكن في العالم.

1. نبوات العهد القديم

لقد أنبئ بمجيء الروح القدس قبل يوم الخمسين بعدة قرون "ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوحكم أحلاماً

ويرى شبابكم رؤى وعلى العبيد أيضاً وعلى الإماء أسكب روجي في تلك الأيام" (يوئيل 2: 28-29). وفي يوم الخمسين العظيم اقتبس بطرس هذا الوعد وأعلن أنه تم بحوادث ذلك اليوم (أعمال 2: 17-18).

2. وعد يسوع

إن يسوع هو الذي أعطى المواعيد بمجيء الروح القدس ففي رسالته الوداعية لتلاميذه في العلية، قال: "وأنا أطلب من الآب فيعطيكُم معزياً آخر ليُمكث معكم إلى الأبد روح الحق" (يوحنا 16: 14). "وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء" (يوحنا 14: 26). "لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم" (يوحنا 7: 16). وفي يوم صعوده قال لتلاميذه "ها أنا أرسل إليكم موعد أبي، فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالي" (لوقا 49: 24).

حلول الروح القدس

إن لنا سجلاً حافلاً عن هذا الحادث العظيم في سفر الأعمال (2: 1-4) ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملاً كل البيت حيث كانوا جالسين. وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم. وامتلاً الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا".

هناك حقائق عديدة تتعلق بحلول الروح القدس تستحق منا عناية خاصة.

1- حادث أكيد محدد

إن حلول الروح القدس حادث أكيد محدد كمولد المسيح. ولن يكون هناك يوم خمسين آخر كما أنه لن يكون هناك تجسد آخر لابن الله. قد يكون هناك اختبارات خمسينية عندما يسلم أناس من رجال ونساء حياتهم بكاملها وكليتها للروح القدس. ولكنه لن يكون هناك يوم خمسين آخر كذلك الذي كان في العلية. وأما أولئك الذين يشيرون إلى حادث يوم الخمسين إثباتاً لما يسمى بالبركة الثانية فقد أخطأوا الهدف.

فيوم الخمسين كان المجيء المحدد للروح القدس ليبدأ عمله في العالم.

2. مرة واحدة وإلى الأبد

قال يسوع عندما وعد بمجيء الروح القدس "وأنا أطلب من الآب فيعطىكم معزياً آخر ليملك معكم إلى الأبد" (يوحنا 16:14). لقد كان الروح القدس في العالم منذ ألفي سنة تقريباً وسيملك هنا حتى نهاية الدهر.

3. مصحوب بعلامات

لاحظ الرموز التالية ذات المعاني الضمنية:

(1) صوت هبوب ريح عاصفة (أعمال 2:2). إن النص الكتابي لا يقول لنا أن الريح كان الروح القدس. ولكن حلول الروح القدس كان مصحوباً بصوت هبوب ريح عاصفة وهذا كان رمزاً للروح القدس. وبذات الطريقة وصف يسوع الروح القدس حين قال: "الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا كل من ولد من الروح" (يوحنا 3:8).

إنّ هذا الرمز يشير إلى قوة الروح القدس. فهناك قوة هائلة في الروح العاصفة قوة تقتلع الأشجار من جذورها وتهدم البنايات القوية. فالروح القدس هو إذاً روح قوة.

(2) ألسنة كأنها من نار. وثم لا يقول الكتاب المقدس أن الروح القدس هو نار ولكن حلوله كان مصحوباً بظهور ألسنة منقسمة كأنها من نار. والنار عنصر مطهر ومدمّر، فالمعادن توضع في النار لتطهر من شوائبها، فالواحد يحترق والآخر يطهر. وبالطريقة نفسها، فإن الروح القدس يطهر الحياة من أدران الشر وحالما يدخل القلب لا بد وأن تفارقه الخطية.

4. يثمر نتائج مغيرة

إن نتيجة حلول الروح القدس يمكن تلخيصها بكلمة واحدة - القوة. وهذا ما عناه حلوله كما قال يسوع "لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم" (أعمال 1:8). وقال لتلاميذه أن ينتظروا حتى تأتي هذه القوة: "فأقيموا في مدينة اورشليم إلى أن تلبسوا قوةً من الأعالي" (لوقا 24:49). إن مجيء الروح القدس قد تميّز بقوة عجيبة. لم تكن قوة جسدية ولكنها قوة روحية.

(1) قوة مغيرة. لقد غير الروح القدس تلك الفئة من الرجال والنساء في العلية من جماعة سيطر عليها الرعب فاخترت خلف الأبواب الموصدة إلى جماعة من الشجعان الذين فتحوا الأبواب على مصاريعها وخرجوا إلى شوارع المدينة المكتظة بالسكان معلنين البشارة بمخلص صلب ومات وقام.

(2) قوة منيرة. لقد كان يجتمع في ذلك الوقت في أورشليم جموع غفيرة من أنحاء الإمبراطورية الرومانية، ينطقون بلغات مختلفة. فمنح الروح القدس أولئك التلاميذ قوة النطق بهذه الألسنة المختلفة. "وامتلاً الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا" (أعمال 2:4).

(3) قوة مبكّنة. بتأثير موعظة بطرس تبكتت ضمائر الجميع على خطاياهم. "فلما سمعوا نחסوا في قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة" (أعمال 2:37).

(4) قوة مخلصّة. وعندما أخبرهم بطرس بما يجب أن يعملوه أطاعوا "فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس" (أعمال 2:41).

عمل الروح القدس

لقد أخبر يسوع بعدة أعمال سيعملها الروح القدس. ويمكننا وضع أعماله هذه تحت ثلاثة عناوين.

1. في الفرد:

ما الذي يعمله الروح القدس للفرد وفي الفرد؟

(1) التبكيّة. الروح القدس يبكت الفرد على الخطية. فهو يكشف له جانباً من طبيعة الخطية وعواقبها ويوقظ فيه الشعور بذنبه أمام إله قدوس. والروح يستعمل وسائل مختلفة للتبكيّة. فأحياناً يحصل التبكيّة نتيجة لسماع كلمة البشارة، كما حدث في يوم الخمسين. وأحياناً من جراء شهادة الآخرين كما في حالة داود (2 صموئيل 13:12). وأحياناً من جراء اختبار مرعب كما في حالة سجان فيلبي.

(2) التجديد. عندما يشعر الفرد بتبكيته الضمير على خطيته فإنه يقوم بأحد أمرين. فإما أن يتقسّى قلبه ويقاوم الروح القدس وإما أن يفتح قلبه بالإيمان ويجعل الروح القدس يدخله. وعندما يتبع الأمر الأخير، يحل الروح القدس في قلبه ويجري عمل نعمة مغيرة لدرجة أننا ندعوه تجديداً أو ولادة جديدة.

يموت إنسان الخطية العتيق ليولد مكانه إنسان جديد في المسيح. قد لا يستطيع الإنسان فهم حدوث مثل هذا الأمر. ولكنه يستطيع أن يختبره. قال الأعمى الذي فتح يسوع عينيه أن هناك ملابس كثيرة في الحادث لم يستطع فهمها ولكنه كان متأكداً من شيء واحد وهو "أنني كنت أعمى والآن أبصر" (يوحنا 9:25).

لقد أعلن ربنا أن اختبار التجديد أمر ضروري قبل أن يستطيع الفرد دخول ملكوت السموات. "الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يوحنا 3:5).

(3) التقديس. إن كلمة "قدّس" تعني جعله مقدساً. والتقديس هو عملية جعل الفرد مقدساً. والتقديس هو عمل الروح القدس: "مقدساً بالروح القدس" (رومية 16:15).

إن التبكيته هو عمل الروح القدس عندما يقف على باب القلب يقرع، والتجديد هو عمل الروح القدس عندما يدخل القلب بعد فتح الباب بالإيمان، والتقديس هو عمل الروح القدس إذ يسكن في القلب.

التقديس نمو الحياة المسيحية، وهو يشبه النمو الجسدي، في كونه تدريجياً. يبدأ بالتجديد وينتهي بالتمجيد. يكون نمو بعض الناس أسرع من غيرهم أو يكون نموهم أكثر من غيرهم، ولكن في كل حياة طبيعية نمواً روحياً وتقدماً. هذا النمو يكثر أو يقل تبعاً لعمل الروح في القلب والحياة.

(4) التعزية. الروح القدس هو المعزي الأعظم لقلوب البشر. فعندما قال يسوع لتلاميذه أنه منطلق عنهم امتلأت قلوبهم حزناً: "لأني قلت لكم هذا قد ملاً الحزن قلوبكم" (يوحنا 6:16). لكنه أكد لهم أن المعزي سيأتي حاملاً لهم معه سلاماً وفرحاً: "وأنا أطلب من الآب فيعطيكُم معزياً آخر ليملك معكم إلى الأبد روح الحق" (يوحنا 14:16-17).

هذا جزء من عمل الروح القدس أن يجلب العزاء للقلوب الحزينة.

(5) الإنارة. الروح القدس يُظهر الحق لعقول المؤمنين وقلوبهم وهو المعلم العظيم كما قال يسوع "وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق" (يوحنا 13:16).

الروح ينير عقول المؤمنين ليفهموا حقيقة كلمة الله "ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة. ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحياً" (1 كورنثوس 14:2). إن الكتاب المقدس في أعرق معانيه كتاب مغلق لأولئك الذين ليس لهم روح الله.

(6) الشفاعة. قلنا سابقاً أن للمسيحي شفيعين: المسيح عن يمين الآب والروح القدس في القلب. وقد جاء ذكر شفاعة الروح القدس في رومية 8:26-27 هكذا: "وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا. لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنا لا ينطق بها. ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين". وبهذين الشفيعين أولهما في السماء وثانيهما على الأرض يصبح المسيحي محصناً تحصيئاً منيعاً.

أما عمل الروح القدس في حياة المؤمنين فيتلخص في الاسم الذي أعطي له "البركليط". اللفظة مأخوذة من الكلمة اليونانية *parakletos* التي معناها المرافق ومن ثم فهو المعين، والروح القدس هو معين المسيحي في كل طريقة يحتاجها.

هذه التسمية للروح القدس "بركليط" مقصورة على كتابات يوحنا وترجمت هذه الكلمة بالكلمة "المعزي"، فليس في اللغة ما هو أقرب معنى إلى الكلمة اليونانية. فالروح القدس هو كل ما تؤديه الكلمات المختلفة من معنى وأكثر. فهو المعلم، والهادي، والمعزي، والشفيع،... الخ..... إنه الذي يسد حاجات المسيحي كلها.

2. في الكنيسة

تخبرنا الأسفار المقدسة بأن الروح القدس يسكن في الكنيسة. والكنيسة تدعى هيكل الروح القدس. فقد كتب بولس إلى كنيسة كورنثوس قائلاً "أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم؟" (1 كورنثوس 3:16). كما كتب لأهل أفسس قائلاً: "الذي فيه أنتم أيضاً مبنون معاً مسكناً لله في الروح" (أفسس 2:22).

ما هو عمل الروح في الكنيسة؟ ويمكننا ذكر أمور عدة باختصار في هذا المجال.

(1) البنيان. "وأما الكنائس في جميع اليهودية والجليل والسامرة فكان لها سلام وكانت تبني وتسير في خوف الرب وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر" (أعمال: 31:9). فالروح القدس هو الذي يبني الكنائس.

(2) الإرشاد. "وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه" (أعمال 2:13). "لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة" (أعمال 28:15). وهكذا نرى أن الروح القدس قد أرشد كنيسة أنطاكية كي تبدأ المشروع التبشيري العظيم كما أرشد كنيسة أورشليم لحل قضية عويصة.

(3) منح المواهب. لنصغ إلى كلمات بولس إلى كنيسة كورنثوس. "فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد... ولكنه لكل واحد يعطي إظهار الروح للمنفعة. فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان بالروح الواحد، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات ولآخر نبوة ولآخر ترجمة ألسنة. ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء" (1 كورنثوس 12: 4، 7 - 11).

(4) إعطاء القوة للخدمة. "لكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم" (أعمال 8:1). هذا وعد الرب لتلاميذه لما قام من القبر. فبقوة الروح القدس

سارت الكنيسة الأولى لتربح الانتصارات. وبدون الروح القدس تسمي الكنيسة منظمة هزيلة عاجزة.

3. في العالم

فيما يتعلق بعمل الروح القدس قال يسوع: "متى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة. أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي. وأما على بر فلأنني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضاً. وأما على دينونة فلأنّ رئيس هذا العالم قد دين" (يوحنا 8:16-11) فبكلمة "العالم" عنى يسوع العالم الشرير غير المؤمن. إنها ذات الكلمة التي استعملها يعقوب عندما قال "أيها الزناة والزواني أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله فمن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله" (يعقوب 4:4) وهي ذات الكلمة التي استعملها يوحنا عندما قال "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب" (1 يوحنا 2:15). إن كلمة "يبكت" تعني "يقنع" أو "يوبخ". فهي تحمل فكرة الإقناع عن طريق تقديم البرهان فالروح القدس يبكت العالم على ثلاثة أمور.

(1) تبكيت على الخطية. "على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي". إن الروح يبكت العالم على حقيقة الخطية وطبيعة الخطية. فهو يرينا أن أعظم الخطايا هي خطية عدم الإيمان.

فالمسيح لم يقل "على خطية لأنهم زناة أو قتلة، أو سكيرون" لكنه قال "لأنهم لا يؤمنون بي". تلك كانت الخطية التي كان العالم مذنباً بها في ذلك الزمن وهي الخطية التي ما زال العالم مذنباً بها اليوم.

(2) التبكيت على البر. "وأما على بر فلأني ذاهب إلى الآب ولا تروني أيضاً". إن قادة اليهود قد اتهموا يسوع بأنه خاطئ "نحن نعلم إن هذا الإنسان خاطئ" (يوحنا 9:24). وقد صرّح يسوع بأنه بار "من منكم يبكتني على خطية" (يوحنا 8:46) وكانت قيامته ورجوعه إلى الآب هما الدليل على بره.

لا يستطيع إنسان أن يدعي البر لأن الكل قد أخطأوا. لكنّ المسيح بموته التكفيري، ورجوعه إلى الآب يقدم براً منسوباً لأولئك الذين يؤمنون. "أما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون" (رومية 3:21-22). "وأوجد فيه وليس بري الذي من الناموس بل الذي بإيمان المسيح البر الذي من الله بالإيمان" (فيلبي 9:3).

(3) التبكيت على الدينونة. "وأما على دينونة فلأنّ رئيس هذا العالم قد دين". الخطية تجلب الدينونة. وهذا ثابت من الدينونة التي حلّت بالشیطان، رئيس هذا العالم. لأنه ظن أنه بالصليب قد نال نصراً ولكن الآية انعكست فأصبح الصليب اندحاره المخزي. وعندها دين وحكم عليه.

فإن كان رئيس هذا العالم قد دين، إذاً فإن أولئك الذين من العالم لا بد أن يدانوا. فعندما وقف بولس أمام فيلكس "كان يتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة" (أعمال 24:25).

ثمر الروح القدس

إذا كان الروح القدس يمكث في حياة إنسان فإن حضوره هذا سيظهر بفضائل ونعم معينة لا يمكن أن تظهر في حياة ذلك الإنسان إلا بوجود الروح القدس. وبولس يدعو هذه بثمر الروح القدس "وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف إيمان وداعة تعفف" (غلاطية 5:22-23). إنه ككرمة تحمل ثلاثة عناقيد.

1. ثمر في الحياة الداخلية

أما العنقود الأول فإنه يظهر ذاته في الحياة الداخلية - محبة فرح سلام. والمحبة المذكورة هنا ليست تلك العاطفة التي غالباً ما أطلقوا عليها اسم الحب. إنه شيء أعمق وأرحب وأسمى وأعظم من تلك العاطفة. إنه مبدأ متسلط أساسي للحياة. إنه شيء لا يستطيع إنتاجه إلا روح الله.

وإلى جانب المحبة يأتي الفرح. وهناك فرق شاسع بين الفرح والمسرة. فالمسرات تعتمد على شروط خارجية ولكن الفرح ينبع من القلب ويستقل عن المؤثرات الخارجية. يستطيع العالم أن يمنحك المسرة ولكنه عاجز عن منحك الفرح. ثم يأتي السلام. فعندما يمكث الروح القدس في القلب، فإنه يمنح سلاماً - سلاماً للضمير الذي عرف أذى الخطية، سلاماً للقلب الذي كان كسيراً، سلاماً للنفس التي كانت مضطربة.

2. ثمر في الحياة الخارجية

العنقود الآخر هو الثمر الظاهر في الحياة الخارجية - طول أناة ولطف وصلاح. وبطول الأناة نعني أن نتحمل الظلم بهدوء. إنها القدرة على قبول الإساءة

دون الرد بها، وأن نعامل المزعجين دون أن ننزعج، وأن نسيطر على غضبنا عندما نواجه الإساءة والافتراء.

ثم اللطف، واللطف خطوة فوق الصبر لأن الصبر هو ساكن وهادئ أما اللطف فهو فعّال. هو أن تفعل شيئاً لمساعدة الآخرين. اللطف ينجح حيث تخفق القسوة.

والصلاح يتبع اللطف. وهذا نعمة من ناحيتين. إنه يعني نقاوة الحياة كما يعني الخدمة غير الأنانية. الصلاح أبعد مدى من اللطف. فاللطف هو المساعدة متى لاحت الفرصة ولكن الصلاح يسعى في طلب الفرص. الصلاح هو البر العامل.

3. ثمر في علاقة الفرد بنفسه

العنقود الثالث هو الثمر الظاهر في علاقة الإنسان بنفسه: إيمان وداعة تعفف. فالإيمان يعني الأمانة أو الصدق والإخلاص للناس ولله.

والوداعة لا تعني الضعف. فقد كان يسوع وديعاً ولكنه لم يكن عاجزاً. والوداعة هي عكس الكبرياء والمفاخرة وعكس الروح غير المسامحة.

وتم التعفف، وهو ضبط النفس. وما أكثر ما جاهد البشر لضبط نفوسهم والانفعالات النفسية والميول الشيطانية في طبيعتهم. والقوة الوحيدة على وجه هذه البسيطة التي تمكن الإنسان من السيطرة على نفسه هي روح الله.

استجابة الإنسان للروح القدس

إن العهد الجديد يذكر مواقف مختلفة يستطيع البشر اتخاذها ليستجيبوا للروح القدس.

1. قد يقاوم الإنسان الروح القدس

هذه هي الكلمة التي فاه بها استفانوس في مخاطبته الذين قاوموا رسالته: "يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان أنتم دائماً تقاومون الروح القدس كما كان آباءكم كذلك أنتم" (أعمال 7:51). هذا هو موقف غير المؤمن الذي يقسي قلبه تجاه الروح القدس. والمسيحي يكون مذنباً في مقاومة الروح، عندما يرفض إطاعة البواعث التي يفرسها الروح في قلبه.

2. قد يزدري الإنسان بالروح القدس

هذه هي الكلمة المستعملة في عبرانيين 29:10 "ازدري بروح النعمة". فالكلمة قد قيلت عن هؤلاء الذين أثر عليهم الروح القدس بقوة. إنها قريبة جداً من الخطية التي لا تغتفر. إن المذنبين بازدرائهم بالروح القدس هم الذين رفضوه وطردهوه من حياتهم بطيش وعجرفة.

3. قد يحزن الإنسان الروح القدس

كان بولس يكتب إلى أناس مسيحيين عندما استعمل هذه الكلمة "لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء" (أفسس 4:30). وبالطبع فإن الروح القدس يحزن بغير المؤمنين إذ يقاومونه ولكنه يحزن للمسيحيين عندما يهملونه ولا يطيعونه. إنها صورة الأب الحزين لتصرفات ابنه الشاذ العاصي.

4. قد يطفئ الإنسان الروح القدس

كان بولس يخاطب مسيحي تسالونيكى عندما قال "لا تطفئوا الروح" (1 تسالونيكى 5:19). فالتشبيه إطفاء النار بسكب الماء عليها وقد وصف الروح القدس

بأنه كالنار. وصاحب حلوله يوم الخميسين ظهوراً ألسنة مثل النار. إنه يشعل نيران المحبة والغيرة في قلب المسيحي وقد يطفئ الفرد الروح باللامبالاة والإهمال وعدم الطاعة.

5. قد يمتلئ الفرد بالروح القدس

هذه هي المثالية التي حث بولس المسيحيين الأفسوسيين عليها "ولا تسكروا بالخمير الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح" (أفسس 5:18). وهناك فرق بين أن يكون لك الروح القدس وبين أن تمتلئ بالروح القدس.

كل مسيحي فيه الروح القدس "إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له" (رومية 8:9). إن مجيء الروح القدس إلى القلب بما يحمله من قوة للتجديد هو الذي يجعل الإنسان مسيحياً. على كل حال فقد يكون الروح القدس لشخص ما ولكن دون أن يكون هذا الشخص ممتلئاً به. قد يكون الإنسان مسيحياً ولكن دون أن يكون مسيحياً ممتلئاً بالروح.

المسيحي مشبه بإناء. فقد قال المسيح عن شاوول الطرسوسي "لأن هذا لي إناء مختار" (أعمال 9:15) كما قال حنانيا لشاوول "قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس" (أعمال 9:17).

لا بد من إتمام شرطين حتى يمتلئ الإناء.

(1) أن يفرغ. لا يمكن أن يمتلئ إناء بماء نقي حتى يفرغ من الماء الملوث. وقبل أن يمتلئ المسيحي بالروح، يجب أن يفرغ من الذات، يفرغ من الخطية ويفرغ من كل

شيء لا ينسجم وروح الله. لا يمكن لإنسان أن يتمسك بشيء غير طاهر ثم يكون ممتلئاً بالروح القدس.

(2) يسلم. قبل أن يملأ الإناء لا بدّ من أن يسلم لاستعمال من يريد أن يملأه وكذلك فالمسيحي لا يمكن أن يمتلئ بالروح حتى يسلم نفسه بكاملها للروح. ودعونا نستعمل مثلاً آخر. إنسان يملك بيتاً يريد تأجيره. ولكن عنده بعض أشياء يريد حفظها في البيت. ولذلك هو يجمعها في غرفة واحدة ويغلق بابها ويضع المفتاح في جيبه. ثم يقول للمستأجر يمكنك استعمال كل البيت باستثناء هذه الغرفة. فقد أبقيتها لنفسى. بمثل هذه الطريقة يعامل بعض الناس الروح القدس. هناك شيء في حياتهم لا يرغبون في التخلي عنه. هناك غرفة لا يرغبون في تسليمها. لذلك فهم يغلقون بابها ويقولون للروح القدس: لك كل حياتي باستثناء تلك الغرفة بالذات فقد أبقيتها لنفسى. مثل هذا الإنسان لا يمكن أن يمتلئ بالروح.

أسئلة للمراجعة والامتحان

- 1- ابحث في شخص الروح القدس.
- 2- اذكر بعض الأمور التي ميّزت حلول الروح القدس.
- 3- ما هو عمل الروح القدس في الفرد؟
- 4- ما هي العلاقة المثالية بين الفرد والروح القدس؟
- 5- ما هي بعض ثمار الروح؟

الفصل الثامن الكنيسة التي أسسها المسيح

"وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي" (متى 16:18)

لقد جهز الرب طريقة بموجبها يستمر عمله بعد تركه للعالم. فأسس الكنيسة (متى 16:18) ثم أرسل روحه القدس ليقويها (يوحنا 15:26). وهذا يعني أن الكنيسة مؤسسة إلهية إذ هي نتيجة تفكير إلهي وتخطيط إلهي وتفويض إلهي. إن كلمة "كنيسة" قد استعملت في العهد الجديد بمعنيين. فهي عادة تشير إلى جماعة محلية ولكنها أحياناً وفي بعض الحالات تشير إلى مجموع المؤمنين بكامله. وفي هذا الفصل سنبحث في الكنيسة على أنها جماعة محلية، مع أن التفريق بين معنيي الكلمة لا يمكن توضيحه بسهولة.

طبيعة الكنيسة:

ما هي الكنيسة؟ لم تستعمل هذه الكلمة قط في العهد الجديد لتؤدي معنى البناءة. كما أنها لم ترد بمعنى منظمة خاصة ببلد معين أو بالعالم بأسره. إنها في معناها المحلي يمكن تعريفها باختصار بجماعة مؤمنين معتمدين ارتبطوا طوعاً بعلاقات تعهدية ونُظّموا على مثال العهد الجديد ويعيشون في طاعة المسيح رأس الكنيسة العظيم. في هذا التعريف المختصر أظهرنا بعض ميزات الكنيسة الحقيقية. إنها جماعة. والكلمة اليونانية للكنيسة تعني "مدعوة" وإنّ هذه الكلمة تشير أصلاً إلى جمع من الناس المدعويين من بيوتهم وأماكن عملهم ليتباحثوا بأمور عامة هامة. وقد استعمل

ربنا كلمة "كنيسة" ليسمي جماعة تلاميذه. وقد كانوا أناساً مدعوين. ولكن ليست كل جماعة من الناس كنيسة. الكنيسة جماعة مؤمنين.

ليس لغير المؤمنين عضوية في الكنيسة. ولكن ليست كل جماعة من المؤمنين تؤلف كنيسة بل يجب أن تكون جماعة من المؤمنين المعمدين.

ليس في العهد الجديد ذكر لمؤمنين غير معمدين في الكنيسة. ولكن ليست كل جماعة من المؤمنين المعمدين تدعى كنيسة. فيجب أن تكون جماعة منظمة على مثال العهد الجديد. ثم هناك أشياء أخرى أيضاً لقيام كنيسة حقة. فالكنيسة جماعة المؤمنين المرتبطين طوعاً بعلاقات تعهدية على مثال العهد الجديد وقد تعهدوا بأن يعيشوا في طاعة المسيح رأس الكنيسة العظيم. فالكنيسة الحقة جماعة نشيطة ومنظمة عاملة. يمكننا إثبات حقيقتين فيما يتعلق بطبيعة الكنيسة.

1. كائن حي

إن من أصدق التشبيهات المستعملة للكنيسة أنها جسد رأسه المسيح "وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده" (أفسس 1:22-23). وهو رأس الجسد الكنيسة (كولوسي 1:18). "فإنه كما في جسد واحد هكذا نحن الكثيرون جسد واحد في المسيح وأعضاء بعضنا لبعض كل واحد للآخر" (رومية 4:5-12).

إن تشبيه الكنيسة بجسد المسيح موصوف وصفاً أكمل في 1 كورنثوس 12:12-27 فكما أن الجسد مصنوع من عدة أعضاء تختلف حجماً وعملاً ولكنها

جميعاً تعمل معاً، هكذا الكنيسة تتألف من أعضاء عديدين يختلفون عملاً ومقدرة ولكنهم جميعاً يعملون معاً تحت قيادة المسيح.

وهذا يعني أن الكنيسة أكثر من منظمة. إنها كائن حي، وبما أنها جسد المسيح

فهي وسيلة بها يعمل المسيح في العالم.

2. هيكل روحي

كتب بولس إلى كنيسة كورنثوس قائلاً: "أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح

الله يسكن فيكم" (1 كورنثوس 3:16). كان للناس في العهد القديم هيكل عادي،

هيكل مبني من خشب وحجر. أما في العهد الجديد فلنا الهيكل الروحي المبني من

حجارة حية هي رجال ونساء مفديون. "كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حية بيتاً

روحياً" (بطرس 2:5).

لقد بني الهيكل المادي كمسكن لله وقد قال سليمان عن الهيكل الذي بناه

"قال الرب أنه يسكن في الضباب وأنا بنيت لك بيت سكن مكاناً لسكنائك إلى الأبد"

(2 أيام 1:6-2).

لقد وعد الله بأنه سيسكن في ذلك الهيكل "وكان كلام الرب إلى سليمان

هذا البيت الذي أنت بانيه إن سلكت في فرائضي وعملت أحكامي وحفظت كل

وصاياي للسلوك بها فإني أقيم معك كلامي الذي تكلمت به إلى داود أبيك وأسكن

في وسط بني إسرائيل ولا أترك شعبي إسرائيل" (1 ملوك 6:11-13).

وبما أنه كان مسكناً لله فلا بدّ من أن يبقى هذا الهيكل مقدساً. وقد طهر

المسيح الهيكل في مناسبتين. وبالطبع فإن له الغيرة ذاتها لحفظ هيكله الروحي مقدساً

"إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو"
(1 كورنثوس 3:17).

لقد كان في هيكل العهد القديم أناسٌ فُرزوا كهنةً يخدمون أمام الرب، وكان هذا الامتياز مقصوراً على فئة قليلة، أما في كنيسة العهد الجديد فالكُل كهنة الله.
"وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي أمة مقدسة" (1 بطرس 2:9). "وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه" (رؤيا 1:6).

كان من أعمال الكاهن أن يقدم الذبائح ولهذا يقول بطرس "كونوا أنتم أيضاً مبنين كحجارة حية بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله
بيسوع المسيح" (1 بطرس 2:5).

إنّ الذبائح المقدسة في الهيكل الروحي ذبائح روحية فما هي؟

(1) ذبيحة القلب المنكسر والمنسحق. وقد عرف داود هذه الذبيحة. "ذبائح
الله هي روح منكسرة القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره" (مزمو 17:51).

ما من ذبيحة أخرى مقبولة لدى الله إلا إذا صاحبته ذبيحة القلب المنكسر والمنسحق.

(2) ذبيحة التسبيح. في الرسالة إلى العبرانيين 13:15 نقرأ هذه الوصية

"فلتقدم به في كل حين لله ذبيحة التسبيح أي ثمر شفاه معترفة باسمه".

(3) ذبيحة الأعمال الصالحة. ومرة أخرى نقرأ في عبرانيين 13:16 "ولكن

لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأنه بذبائح مثل هذه يسر الله".

(4) ذبيحة الحياة المكرسة. إن من أكثر الآيات المعروفة في الكتاب المقدس الآية الواردة في رومية 1:12 "فأطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية".

الكنيسة كمنظمة

ما هو مثال العهد الجديد لتنظيم الكنيسة؟ هناك مميّزان هامان.

1. ديمقراطية

وتحت هذا الاسم تنطوي أشياء كثيرة.

(1) عضوية طوعية. تتألف الكنيسة من أناس اختاروا الاندماج في عضويتها. ما من أحد يصبح عضواً في الكنيسة بالولادة، ولا يجوز أن ينضم أحد إلى الكنيسة مرغماً. فلكل فرد أن يختار بنفسه. قد يستطيع الآخرون أن يؤثروا عليه أو أن يساعده للقيام بهذا الاختيار ولكن التصميم النهائي عائد له.

(2) المساواة في الامتيازات. كل أفراد الكنيسة متساوون في الحقوق والامتيازات - الشيخ والشاب، والغني والفقير، المتعلم والأمي، جميعهم يقفون على قدم المساواة. قد يصبح البعض قادة لما هم عليه من المقدرة والتدريب ولكن ليس لهم الحق في فرض هذه القيادة والسيطرة على أخوتهم.

(3) الحكم الذاتي. الكنيسة جماعة تحكم ذاتها. ما من فرد أو مؤسسة فوق الكنيسة أو له السلطة عليها. كل كنيسة تحت قيادة الله تدبر أمورها الخاصة بها دون عرقلة من الآخرين. وليس في الكنيسة جماعة حاكمة. فالسلطة الحاكمة هي في

الأعضاء ولكن هذه يجب أن تكون حسب السلطة الإلهية. وكل أنظمة الكنيسة وإدارتها يجب أن يبت فيها بتصويت الجماعة بالاعتماد على قيادة الروح القدس.

2. منظمة مستقلة

على الكنيسة أن تتعاون مع الكنائس الأخرى. ولكنها في شؤونها الخاصة يجب ألا تكون تحت إشراف الكنائس الأخرى.

(1) في علاقتها بالكنائس الأخرى. ليس للكنيسة مهما كانت قوية وذات نفوذ أي سلطة على كنيسة أخرى، مهما كانت هذه الأخرى صغيرة. وليس لأية مجموعة من الكنائس أي حق للقول لأية كنيسة أخرى ما يجب أو ما لا يجب أن تعمله. قد يقدمون النصيحة ولكن التصميم في ما يجب عمله عائد إلى الكنيسة بمفردها.

(2) في علاقتها بالجماعات الطائفية. ترسل الكنائس ممثلين عنها لمؤتمرات ومجامع حيث يجتمعون للتشاور والتعاون ولكن هذه الجماعات لا تستطيع فرض سلطتها على الكنائس المنفردة. إن التعاون لا الإرغام هو المبدأ الذي تنقاد له الكنائس والذي به ترتبط معاً في الشركة والخدمة. وبالطبع لا بد أن يكون هناك اتفاق في التعليم والتطبيق لأنه "هل يسير اثنان معاً إن لم يتواعدا" (عاموس 3:3).

(3) في علاقتها بالحكومة المدنية. ليس من حق الدولة ممارسة أية سلطة على أي كنيسة أو منظمة دينية. وليس من حق الكنيسة أو أية منظمة دينية أن تمارس أية سلطة على الدولة. لأن كلاً منهما لها مجالها الخاص ويجب أن تظلا منفصلتين ومتميزتين.

ولكن للكنيسة والدولة مطالب خاصة يجب مراعاتها واحترامها. فقد قال يسوع "أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله" (متى 21:22). على أعضاء الكنيسة أن يكونوا مواطنين صالحين للدولة مطيعين لقوانينها طالما أن هذه القوانين لا تتعارض وشريعة الله. وعلى الدولة أن تحمي الكنائس وأعمالها طالما أن الكنيسة لا تنقض حقوق الدولة.

موظفو الكنيسة

إن الوظيفتين الكنسيتين الوحيدتين المذكورتين في الكتاب المقدس هما وظيفتا الراعي والشماس. ففي كورنثوس الأولى 28:12 يقول بولس "فوضع الله أناساً في الكنيسة أولاً رسلاً ثانياً أنبياء ثالثاً معلمين ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء أعواناً تدابير وأنواع السنة". على كل حال فإن هذه الأوصاف تشير إلى أناس مُنحوا مواهب خاصة لخدمات ولا تشير لموظفي الكنيسة.

1. الراعي

هذا هو الاسم الشائع استعماله اليوم ولكنه لم يذكر سوى مرة واحدة في العهد الجديد. "وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين" (أفسس 4:11). وأما الاسم الذي أطلق على هذا الخادم في العهد الجديد فهو "شيخ" أو "أسقف" والذي يعني ناظراً. وهكذا نرى أن هناك ثلاثة أسماء للخادم ذاته "راعي" "شيخ" "أسقف".

قيل أن أسلافنا من المعمدانين تخلوا عن استعمال اسم أسقف أو شيخ من جراء ما علق بهذا الاسم من مغالطات غير كتابية واستعملوا الكلمة التي ليس لها مثل هذه المغالطات غير الكتابية وهي كلمة "راعي".

والظاهر أنه كان في كنائس العهد الجديد أكثر من راع واحد في الكنيسة الواحدة ولكن كم كان عددهم؟ فهذا ما لم نخبر به. وعددهم كما يظهر كان يعتمد على الكنيسة وعدد أفرادها. وبولس في رسائله إلى الكنائس كان يستعمل صيغة الجمع كلما أشار إلى هذا الخادم. "إلى جميع القديسين في المسيح يسوع الذين في فيلي مع أساقفة وشماسة" (فيلي 1:1). وعندما نزل إلى البر في ميليتس "أرسل إلى أفسس واستدعى قسوس الكنيسة" (أعمال 17:20).

(1) مؤهلات الراعي. هذه ذكرت في تيموثاوس الأولى 3:1-7 وفي تيطس 1:6-9 وهي تشتمل على أخلاق عالية، الخلو من اللوم، القيادة والمقدرة على التعليم. وبالاختصار فالراعي يجب أن يكون موهوباً بطبيعته وبالنعمة والتدريب. فإنها وظيفة ذات مستوى عال، ومن لا يجاهد للوصول إلى هذا المستوى العالي فليس له مكان في الخدمة.

(2) واجبات الراعي. هذه الواجبات تشملها الأسماء التي أطلقت على هذا الخادم فقد دعي "شيخاً" وهذا يعني أن يكون الأكبر سناً. وهذا الاسم يوحي بأنه ذو خبرة وجدير بالاحترام. ودعي "أسقفاً" أي ناظراً. عليه أن يسهر على الكنيسة دوماً، ويقودها ويوجهها في عملها. ودعي "راعياً" والراعي يقود قطيعه، ويرعاه ويحافظ

عليه. يفتش على الخروف الضال ويعتني بالضعيف ومن لا معين له. كما أن على الراعي أن يكون واعظاً ومعلماً وقائداً ومشيراً.

(3) إعاشة الراعي. يؤكد بولس ويشدد على أن الرعاة يجب أن ينالوا إعاشة كافية ممن يخدمونهم فقد قال مخاطباً كنيسة كورنثوس "ألستم تعلمون أن الذين يعملون في الأشياء المقدسة من الهيكل يأكلون. الذين يلزمون المذبح يشاركون المذبح. هكذا أيضاً أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون" (1 كورنثوس 9:13-14).

ثم إن ربنا عندما أرسل تلاميذه لبشروا ويخدموا الشعب قال لهم ألا يأخذوا معهم نقوداً. "لأن الفاعل مستحق أجرته" (لوقا 7:10). وعلى الراعي ألا يكون محباً للمال (1 تيموثاوس 3:3) بل عليه أن يأخذ الإعاشة اللازمة ممن يقوم لهم بالخدمة.

2. الشماس.

إن اسم شماس يعني الخادم. وقد استعملت الكلمة أصلاً لأي شخص يخدم سواء أكانت خدمته في البيت أو في الدولة أو في الكنيسة. ولكن بمرور الزمن أصبحت تُستعمل لمن انتخبوا ليقوموا بخدمات خاصة في الكنيسة. كما نرى أن اسم الراعي والشماس قد درج ذكرهما معاً في العهد الجديد: "إلى جميع القديسين في المسيح يسوع الذين في فيليبي مع أساقفة وشماسة" (فيلبي 1:1). وبولس يضعهما معاً في تبيان كفاءة كل منهما في الأصحاح الثالث من رسالته الأولى إلى تيموثاوس.

(1) أصل هذه الوظيفة. إن قصة وظيفة الشماس مسرودة في الأصحاح السادس من سفر أعمال الرسل، ولو إن الاسم لم يذكر هناك. فقد كانوا سبعة في

عدددهم ولكن هذا لا يعني أن كل كنيسة يجب أن يكون لها سبعة شمامسة فقط. فالعدد يجب أن يعتمد على عدد أعضاء الكنيسة فقد تكتفي بعض الكنائس بثلاثة أو أربعة شمامسة بينما كنائس أخرى تحتاج إلى خمسين شماساً. لقد انتخب الشمامسة الأولون من قبل الجماعة بكاملها وفرزهم الرسل لخدمتهم بوضع الأيدي والصلاة.

(2) مؤهلات الشماس. تجد هذه المؤهلات مسرودة في سفر الأعمال 3:6

، وفي الرسالة الأولى إلى تيموثاوس (3:8-13). فمؤهلات الشماس قريبة الشبه كثيراً بمؤهلات الأسقف. فالوقار وحسن السمعة أمران أصيلان مهمان للشماس، وبالطبع فإن هناك مؤهلات أخرى، كالمقدرة على العمل والمقدرة على القيادة. وبصرف النظر عن كل المؤهلات التي قد يحوزها الشخص فإن لم تكن أخلاقه مرضية فإنه لا يصلح لأن يكون شماساً.

(3) واجبات الشماس. إن واجبات الشماس غير محددة بوضوح في العهد

الجديد فالشمامسة الأوائل اختيروا ليعتنوا بالأمر المادية المشتركة ليتمكن الرسل من أن يكون لهم الوقت الكافي للصلاة وخدمة الكلمة. ولكن كان عليهم أن يكونوا قادة روحيين في الكنيسة، وهذا ظاهر من الأخلاق السامية التي كان من المفروض أن يتحلوا بها. على الشماس أن يكون مساعداً للراعي في كل أوجه نشاط الكنيسة. وبالطبع فواجباته تشتمل على أكثر من مجرد جمع التقدمة وخدمة مائدة الرب.

فرائض الكنيسة

كان في كنيسة العهد الجديد فريضتان. وهاتان الفريضتان ليس لهما أية فعالية للخلاص كما أنه ليس لهما المقدرة في ذاتها لمنح أية بركة، لكنهما رمزان لحقيقتين هامتين ومراعاتهما واجبة إطاعة لوصية ربنا.

1. المعمودية

مرّت سنون عديدة وهذه الفريضة عرضة ومثار للمجادلات لأن الناس تمسكوا بما دوّنه البشر لا بما دوّن في العهد الجديد. فما الذي تقوله الأسفار المقدسة بهذا الصدد؟

(1) أصل الفريضة. بدأت فريضة المعمودية بيوحنا المعمدان الذي أرسل بدعوة إلهية: "كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا" (يوحنا 1:6). أرسله الله لا ليحفظ بالتوبة لمغفرة الخطايا فقط بل ليعمد التائبين أيضاً كرمز ظاهري لتغيير داخلي. "الذي أرسلني لأعمد بالماء" (يوحنا 1:33).

وقد أجاز يسوع هذه الفريضة باعتماده، كما ورد في إنجيل متى 3:13-17، وعند صعوده أمر رسله قائلاً: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (متى 28:19). وهكذا فالمعمودية عمل اختياري يقوم به الفرد إطاعة لوصية ربه.

(2) كيفية ممارستها: المعمودية هي التغطيس بالماء، هذا هو معنى الكلمة اليونانية. والتغطيس هو العمل الوحيد الذي يطابق وصف المعمودية الذي وصل إلينا في العهد الجديد. "فنزلا كلاهما إلى الماء فيلبس والخصي فعمده ملما صعد من الماء خطف روح الرب فيلبس" (أعمال 8:38-39). إن هذا التعبير يصور لنا التغطيس.

بولس يصف التغطيس بأنه دفن وقيامة: "فدُفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدّة الحياة. لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته" (رومية 6:4-5).

(3) العاملون بها. المؤمنون هم وحدهم من يجوز تعميدهم. وهذا وارد في حوادث العهد الجديد وتعاليمه. ليس في العهد الجديد أي ذكر لمعمودية غير المؤمنين أو للذين لم يعترفوا بأنهم مؤمنون.

إن ضرورة الإيمان بالمسيح كأمر سابق للمعمودية الصحيحة وارد في قصة رجال أفسس كما هي مدونة في سفر أعمال الرسل 1:19-5. فقد اقتبل هؤلاء الرجال معمودية يوحنا كما يظهر دون الإيمان المخلص بالمسيح، ولكنهم عندما اقتيدوا للإيمان الصحيح بالمخلص، عمدوا باسم الرب يسوع. فالعمل الأول لم يكن معمودية صحيحة، لأنها لم تكن معمودية مؤمنين.

(2) التشبيه. إننا بفريضة المعمودية نقدم تشبيهاً لثلاث حقائق. فهي ترمز للدفن وقيامة ربنا كما أنها تعلن اختباراً مغيّراً في حياة المؤمن هو موت إنسان الخطية القديم وقيامة الإنسان الجديد بالمسيح. إنها تعبر عن الرجاء المبارك لقيامة مجيدة للجسد عند مجيء الرب.

2. العشاء الرباني

هذه الفريضة أيضاً كانت موضوع مجادلات كثيرة من ناحية معناها

وممارستها.

(1) فريضة تذكارية. إن العشاء الرباني فريضة أسسها ربنا في العلية قبل موته على الصليب مباشرة. وأمر بممارستها كذكرى لموته التكفيري. فعندما أعطى تلاميذه الخبز المكسور قال "خذوا كلوا هذا هو جسدي" (متى 26:26)، وعندما أعطاهم الكأس قال "اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" (متى 26:27-28). ليس في الخبز أية فعالية روحية وكذلك ليس في الخمر، فما هما إلا ذكرى لجسد المخلص المكسور ولدمه المسفوك. إن القصد الأوحى العظيم من ممارسة هذه الفريضة هو إعلان موت ربنا "فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء" (1 كورنثوس 11:26).

(2) فريضة كنسية. "العشاء الرباني فريضة كنسية تمارسها الكنيسة ويشترك فيها من تمموا الشروط المنصوص عنها في العهد الجديد - إيمان مخلص، معمودية وعضوية الكنيسة.

3. قلب الإنجيل

إن الفريضتين ترمزان لحقيقتين هما قلب الإنجيل أو لبابه - موت الرب التكفيري، وقيامته المجيدة - وقد كتب بولس لمسيحيي كورنثوس قائلاً: "وأعرفكم أيها الأخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه وبه أيضاً تخلصون إن كنتم تذكرون أي كلام بشرتكم به إلا إذا كنتم قد آمنتم عبثاً. فإني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وأنه دفن وأنه قام

في اليوم الثالث حسب الكتب " (1 كورنثوس 1:15-4). يجب المحافظة على هاتين الفريضتين صحيحتين حسب طريقة العهد الجديد لما ترمزان إليه من حقائق.

عمل الكنيسة

لقد أسسَ المسيحُ الكنيسةَ واسطةً بها يستمر عمله في العالم. فالكنيسة يجب أن تخدم جميع حاجات الجنس البشري، ولكن عملها الأهم هو إعلان الإنجيل إلى العالم بأسره. فعمل الكنيسة إذاً محلي وعالمي. لقد خطط عمل الكنيسة عندما قال "وتكونون لي شهوداً في اورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض" (أعمال 1:8). كان عليهم أن يبدأوا من وطنهم ولكن دون أن يتوقفوا هناك لأن يسوع قال في مناسبة أخرى "والحقل هو العالم" (متى 13:38).

1. في محيطها

تمارس الكنيسة عملها في محيطها بإقامة عبادة عامة وخدمة حاجة الناس، الجسدية والروحية وإن كان الواجب أن يكون التشديد على الناحية الروحية. تسعى الكنيسة لكسب الضال وإرجاعه إلى معرفة الخلاص بالمسيح عن طريق التبشير العام بالإنجيل وبالشهادة الشخصية كما تمتد يد المساعدة لمن هم بحاجة لها، إن في الكنيسة أو خارجها. إنها تجاهد للوصول إلى مستوى أخلاقي عالٍ وإقامة البر والعدل في كل علاقات الحياة.

تستطيع الكنيسة القيام بعملها على أحسن وجه فقط عندما تضمن مستوى أسمي للحياة بين أعضائها. ولن تستطيع كسب العالم بمشاكلتها للعالم. فمن أجل

الكنيسة وعملها، عليها أن تحافظ على التأديب الصحيح. يجب أن تبذل الكنيسة كل جهدها لتساعد أعضائها ليحيوا على المستوى الذي وضعه يسوع المسيح.

2. في العالم

إن كل كنيسة بمفردها يجب أن تتعاون مع الكنائس الأخرى لتنفيذ مهمتها نحو العالم أجمع ونشر الإنجيل إلى كل الأمم وفي خدمة حاجاتهم. وهذا هو القصد من الجمعيات والجامع.

يمثل هذا التعاون فقط تستطيع الكنائس إنجاح عمل الرب. والكنائس بتعاونها هكذا تستطيع أن تجهز عمالاً للحقول المختلفة وتوفر الوسائل التي بها ينفذ العمل. وهذا يدعو إلى الأمانة في الصلاة والحياة والإمكانات المادية.

أسئلة للمراجعة والامتحان

- 1- ماذا نعني بقولنا أن الكنيسة هيكل روحي؟
- 2- بأي معنى تكون الكنيسة منظمة مستقلة؟
- 3- ما هما الوظيفتان الكنسيتان في العهد الجديد؟
- 4- إلى ماذا ترمز المعمودية؟
- 5- ما هو عمل الكنيسة؟

الفصل التاسع العالم الآتي

"وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي" (عبرانيين 5:6)

تكلم يسوع في مناسبتين عن "العالم الآتي" أو "الدهر الآتي" (متى 32:12

ومرقس 30:10)، كما أن التعبير ذاته تكرر مرتين في الرسالة إلى العبرانيين (5:2

و5:6). والمقارنة هي بين هذا العالم أو هذا الدهر وبين الدهر الآتي. فالبعض قد

انغمسوا في أمور هذا العالم لدرجة أنهم نسوا أن هناك عالماً آتياً.

إن معلوماتنا عن العالم الآتي معلومات محدودة فهناك الكثير عنه لا نعلمه.

ولكن قد كشف لنا ما فيه الكفاية لنعرف كل ما نحتاج إلى معرفته.

الموت

الموت الطبيعي هو نصيب الجميع: "و كما وضع للناس أن يموتوا مرة"

(عبرانيين 27:9). كل من عاش على الأرض مات عدا شخصين مجيدين أخنوخ

وإيليا: "بالإيمان نقل أخنوخ لكي لا يرى الموت" (عبرانيين 5:11). "وفيما هما

يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد إيليا في

العاصفة إلى السماء" (2 ملوك 11:2). وكل من هو عائش على الأرض الآن سوف

يموت ما لم يأت الرب في هذا الجيل.

ما هو الموت؟ إن الجواب عن هذا السؤال عسير كإجابة عن السؤال: ما

هي الحياة؟ الموت ليس انعدام الكيان. إنه يضع حداً للحياة على الأرض ولكن الإنسان

عندما يموت لا يتلاشى كيانه. فقد قال يسوع "لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدر أن يقتلها" (متى 28:10).

الموت هو انفصال النفس عن الجسد. وقد قال عنه الحكيم هكذا: "فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها" (جامعة 7:12). وقد وصف الموت أحياناً بأنه "تسليم الروح" وهذا هو الوصف الذي استعمل فيما يختص بموت يسوع عندما "صرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح" (متى 50:27).

وقد استعمل في العهد الجديد تشبيهان لوصف الموت، أولهما يتعلق بالجسد ودعي رقاداً. فعند الموت يظهر الجسم كأنه يستسلم للنوم. ونجد أن هذا التعبير "رقد" قد استعمل عدة مرات، فقصة موت استفانوس اختتمت بهذه الكلمات "وإذ قال هذا رقد" (أعمال 7:60). وقيل عن داود "بعد ما خدم جيله بمشورة الله رقد" (أعمال 13:36).

وقد عزى بولس مسيحي تسالونيكي عن موتاهم قائلاً: "ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الأخوة من جهة الراقدين لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم" (1 تسالونيكي 4:13). فكلمة "رقد" أو "نام" تتضمن أيضاً فكرة الصحو أو اليقظة. وفي الموت يرقد الجسد ولكنه يستيقظ في القيامة.

التشبيه الثاني الذي استعمل للموت يتعلق بالنفس أو الروح وقد سمي انطلاقاً. وكان هذا تعبير بولس المحب إليه "لي اشتها أن أنطلق وأكون مع المسيح" (فيلبي 23:1).

وهكذا فعند الموت يوضع الجسد فتحتضنه الأرض ليستريح ولكن الروح تنطلق إلى عالم آخر حيث تعيش إلى الأبد.

الحالة المتوسطة

وهذه تتعلق بمكان الميت وحالته بين الموت والقيامة. أين يذهب الإنسان عند موته؟ إلى أين تنطلق الروح؟ هناك كلمة عبرية في العهد القديم هي "شبول" وقد قابلتها في العهد الجديد الكلمة اليونانية "هاديس". لقد ترجمت هاتان الكلمتان بكلمتي "الهاوية" و"الجحيم" والمقصود هو مقر الموتى، دون إشارة لحالة الميت. فكل الذين ماتوا يقيمون في "هاديس".

هذا لا يعني أن ليس هناك جهنم. فهناك كلمة ترجمت بالصواب إلى "جهنم" وهي الكلمة التي استعملها مخلصنا عندما قال "خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتمضي إلى جهنم إلى النار التي لا تطفأ" (مرقس 9:43).

هناك حقائق معينة عن حالة الموتى تكشف لنا عنها الأسفار المقدسة.

1. الأبرار

ماذا يحدث لنفس المسيحي عندما يموت؟ يقول البعض بأنها ترقد في القبر مع الجسد. ورأي كهذا يعارض ما جاء في الأسفار المقدسة معارضة تامة. فقد قال يسوع للص على الصليب "اليوم تكون معي في الفردوس" (لوقا 23:43). وعندما تكلم

بولس عن موته قال "لي اشتها أن انطلق وأكون مع المسيح" (فيلبي 1:23). وفي سفر الرؤيا 13:14 يأتينا هذا التأكيد المبارك "طوبى للأمم الذين يموتون في الرب منذ الآن".

تظهر لنا والحالة هذه ثلاث حقائق تتعلق بموت الأبرار. إنهم في الفردوس وأنهم مع المسيح وأنهم سعداء. وهذا ينقض كل اعتقاد بالمطهر حيث يقال بأن نفوس الأبرار يجب أن تقضي فترة عذاب قبل أن تنهي لدخول غبطة المفديين وسعادتهم.

2. الأشرار

لا تكشف لنا الأسفار المقدسة إلا القليل عن حالة الأشرار بين الموت والقيامة. فهناك عبارتان تعطينا كل ما نعرفه تقريباً عن هذا الموضوع. ففي مثل الغني ولعازر يقول يسوع "مات الغني أيضاً ودفن ورفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب" (لوقا 16:22-23). وفي رسالة بطرس الثانية 9:2 نجد هذا الوصف عن موت الخاطئ "يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة ويحفظ الأئمة إلى يوم الدين معاقبين". وكما أن الموتى الأبرار قائمون في حضرة الرب في حالة سعادة هكذا الموتى الأشرار فإنهم مفصولون عن الرب وهم في حالة تعاسة.

رجوع المسيح

إن البعض لم يعد يعطي هذا التعليم الاهتمام الواجب لكثرة ما وضع من نظريات حول مجيء المسيح الثاني. مع أنه ذكر في كلمة الله أن هذا التعليم هو رجاء المسيحيين المبارك "منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح" (تيطس 2:13).

وهنا ومرة ثانية نجد أن معلوماتنا بهذا الصدد محدودة ولذلك فإنه لخطر دائم أن نذهب لأبعد مما كشف لنا في الأسفار المقدسة. على كل فهناك عدة حقائق أصبحت معروفة تتعلق برجوع المسيح.

1. يقينية رجوعه

ما من حقيقة كُشفت في كلمة الله بوضوح أكثر من هذه الحقيقة. وسنورد بعض الآيات بهذا المجال. عندما وقف التلاميذ على جبل الزيتون شاخصين إلى السماء والرب منطلق "إذا رجلان قد وقفنا بهم بلباس أبيض وقالا أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء. إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء" (أعمال 10:1-11). وبولس يقول "لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء" (1 تسالونيكي 4:16). وفي عبرانيين 9:28 نجد ما يلي "هكذا المسيح... سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه".

قال يسوع لتلاميذه: "سمعتم أني قلت لكم أنا أذهب ثم آتي إليكم" (يوحنا 14:28). وقد قال الكثير لتلاميذه عن كيف يجب أن يكونوا مستعدين لرجوعه. والأصحاح الرابع والعشرون من بشارة متى وآيات مماثلة في البشائر الأخرى تتوسع في البحث عن رجوع الرب. أما أن نجعل موت الإنسان هو الإتمام لهذه المواعيد فهذا مما لا يتفق والأسفار المقدسة.

2. طبيعة رجوعه

أشياء عديدة كشفت حول هذا الموضوع.

(1) شخصي ومنظور. قال الرجلان اللذان ظهرا للتلاميذ على جبل الزيتون "إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء" (أعمال 11:1). سوف يرجع بذات الطريقة الشخصية التي فارقهم بها وسيكون مجيئه منظوراً للجميع. "هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين" (رؤيا 7:1). سيكون رجوعه أكثر من مجرد رجوع روحي.

(2) فجأة وعلى غير انتظار. هذا هو الوصف الذي وصف يسوع به رجوعه. إنه سيكون بسرعة لمعان البرق: "لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغرب هكذا يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان" (متى 24:27). وشعوب الأرض لن تكون مترقبة عودته "لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع، كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان" (متى 24:38-39).

(3) بمجد عظيم. "ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه" (متى 25:31) "وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحاب بقوة كثيرة ومجد" (مرقس 13:26). "لأن من استحي بي وبكلامي فهذا يستحي ابن الإنسان بمجده ومجد الآب والملائكة القديسين" (لوقا 9:26).

3. وقت مجيئه

إن كثيراً من البلبلة حول مجيء المسيح الثاني تسببت عن محاولات البشر لتحديد وقت لرجوعه. فمنذ صعوده إلى السماء إلى يومنا هذا وبعض الناس يعتقدون بأن مجيئه سيكون في أيامهم. يحسن بنا أن نضع نصب أعيننا ما قاله ربنا عن عودته:

(1) الوقت يعرفه الآب وحده. يقول يسوع في إنجيل مرقس 13:32 "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب".

إن هذا السر لا يعرفه إلا الآب. وحسن أنه كذلك. لنفترض أن الناس عرفوا متى يرجع المسيح وكان الحادث المجيد قريباً وعلى الأبواب فستكون بلبلة كتلك التي كانت في تسالونيكى في أيام بولس.

وإذا تبين أن الوقت سيكون في المستقبل البعيد فسيهمله البشر إهمالاً تاماً. ولكن لأنه ما من بشر يعرف متى سيكون ذلك اليوم يظل الجميع يحيون في حالة استعداد له. "لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان" (متى 24:44).

(2) إنذار بعدم تفحص أسرار الله. ليس للناس أن يتفحصوا الأسرار التي لم يرَ الله مناسباً أن يكشفها. فعندما سأل الرسل المسيح بعد قيامته عن الوقت الذي فيه يردُّ المُلْكَ لإسرائيل أجابهم: "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه" (أعمال 1:7).

(3) موقف ترقب. إن موقف شعب الله يجب أن يكون موقف ترقب. فقد يعود الرب في أية لحظة. قال يسوع "اسهروا إذ أنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم" (متى 24:42). وأحسن ما نتهياً به لاجيء الرب أن نكون مشغولين في العمل

الذي أعطانا أن نعمله "طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا" (متى 24:46).

4. العصر الألفي

إن أي بحث عن رجوع الرب ليشير مجادلات وأسئلة تتعلق بالعصر الألفي. إن هذه الفترة ومداهها ألف عام قد ذكرت مرة واحدة في الكتاب المقدس في سفر الرؤيا 10-1:20. ويصادف مصاعب كثيرة شرح هذه المقطوعة في سفر مليء بالصورة الكلامية والرموز. ولكن على كل حال هناك آيات من أسفار أخرى تلقي بعض الضوء على هذا الموضوع.

هناك مدرستان من المفسرين يطلق عليهما "القائلون بالجيء قبل الألف" و"القائلون بالجيء بعد الألف" وسنشرح باختصار ما تعتقد به هاتان المدرستان.

(1) القائلون بالجيء قبل الألف. ترى هذه المدرسة أن الشرور ستزداد في العالم وستتوج هذه الفترة برجوع المسيح وسيكون لحيته ظاهرتان.

الأولى، يجيء أولاً لقديسيه، وفي هذا الوقت سيقوم الموتى بالمسيح، وسيتغير المسيحيون الأحياء. وسيختطف كلاهما - المقامون من الموت والأحياء بالمسيح - في السحب لملاقاة الرب. وهذا ما يُعرف أحياناً بالاختطاف وهو موصوف في تسالونيكي الأولى 4:15-17. وسيتبع هذا فترة ضيق على الأرض يؤمن بنو إسرائيل خلالها ويصبحون رسلاً للإنجيل.

ثانياً، يأتي مع قديسيه. فعندما تقترب فترة الضيق من نهايتها سيعود المسيح مع قديسيه ويتبع ذلك دينونة الأمم. والشيطان سيُقيّد، ويملك المسيح مع قديسيه لمدة ألف

عام. في نهاية هذه الفترة يطلق الشيطان من عقاله وتحدث معركة هر مجدون العظيمة التي فيها يظفر المسيح بنصره النهائي. والشيطان يُطرح في بحيرة النار. ثم يلي ذلك قيامة الأشرار حيث الدينونة أمام العرش الأبيض العظيم.

(2) القائلون بالمجيء بعد الألف. بناءً على ما تقوله هذه المدرسة من المفسرين فسيكون هناك نصر تدريجي للإنجيل في العالم. يتوج هذا النصر بفترة صلاح وعدل وسلام تستمر مدة ألف عام. ويجعل بعض المفسرين المعاصرين هذا العصر الألفي غير محدد فيقولون أنه يمتد من الصلب حتى نهاية العالم، وعند ظهور المسيح ستكون قيامة عامة للموتى والأبرار والأشرار تليها الدينونة.

ومن المحتمل أن الغالبية من المسيحيين اليوم يشعرون بأن همهم الأعظم يجب أن يوجه إلى عمل الرب لا إلى صرف وقتهم في مناقشات التفاصيل المتعلقة برجوع الرب، والبعض يدعون أنفسهم "الذين لا يعتقدون بحرفية الألف سنة". إن حقيقة رجوعه الأكيد ونصره النهائي يتفق فيها الجميع ويجب أن تكون هذه الحقيقة رجاءنا ومبعث إلهامنا الدائم.

القيامة

فيما يختلف الشعب المسيحي في الرأي حول ما يتعلق بالقيامتين - قيامة الأبرار وقيامة الأشرار - فإنهم يتفقون على أن الأبرار والأشرار سيقومون من الموت. وهذا ما تعلمنا به أسفار العهد القديم والعهد الجديد بوضوح. ففي سفر دانيال النبي 2:12 نرى هذه العبارة: "وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للآزدرء الأبدية". كما يقول بولس أيضاً "ولي

رجاء في ما هم أيضاً ينتظرونه أنه سوف تكون قيامة للأموات الأبرار والأئمة" (أعمال 15:24).

فالسئلة التي كانت تُسأل في أيام بولس عن القيامة ما زالت تُسأل اليوم "لكن يقول قائل كيف يقام الأموات وبأي جسم يأتون" (كورنثوس 15:35). إن قيامة الجسد حقيقة لا يصعب على من يؤمن بالله أن يقبلها. قال بولس لأغرياس "لماذا يعد عندكم أمراً لا يصدق إن أقام الله أمواتاً" (أعمال 8:26).

فإن كان الله في البدء قد صنع جسد الإنسان من تراب أفلا يقدر أن يقيم الجسد من التراب؟ إن الفداء لا يكمل حتى تأتي القيامة. فعندما يموت المسيحي فإن روحه تكون مع الرب، ولكن جسده يكون مدفوناً في الأرض. فهل هذه النهاية؟ إن الأسفار المقدسة تقول لا. فسيقام الجسد ثانية جسداً مفدياً مناسباً لسكنى روح مفدية. فكيف تكون طبيعة الجسد المقام؟ ليس في نص الكتاب المقدس إلا القليل عن قيام الأشرار، لكن هناك الكثير عن قيامة الأبرار. وقيامه المسيح تعطينا تأكيداً ومثالاً عن قيامة شعبه. وهناك حقيقتان ظاهرتان هما:

1. تظلّ للمقامين من الموت ذاتياتهم

إن الجسد المقام سيشابه الجسد المائت تماماً، فقد قام جسد يسوع من القبر وأظهر نفسه حياً لتلاميذه وأظهر لهم أثر المسامير في يديه. فقد كان إلى حد ذات الجسد الذي أضحج في القبر. وهكذا ستكون الحال مع أجساد شعب الله المقامة.

2. أجساد متغيرة

سيختلف جسد القيامة عن الجسد المائت، فبولس يقول "إن لحمًا ودمًا لا يقدران أن يرثا ملكوت الله. ولا يرث الفساد عدم الفساد" (1 كورنثوس 50:15)، ثم يصف التغيير الذي يحدث كما يلي "يزرع في فساد ويُقام في عدم فساد. يزرع في هوان ويُقام في مجد. يزرع في ضعف ويُقام في قوة يُزرع جسمًا حيوانيًا ويُقام جسمًا روحانيًا" (42-44).

مما تقدم نرى أن جسد القيامة سيكون عديم الفساد، قويًا ممجدًا وروحياً. سيكون كجسد المسيح الممجد: "فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده" (فيلبي 20:3-21). "أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو" (يوحنا 2:3).

الدينونة

يعتقد بعض المفسرين بأنه ستكون هناك أكثر من دينونة واحدة، بينما يعتقد آخرون بأنه ستكون دينونة واحدة فقط. على كل حال فالكل يتفقون على حقيقة الدينونة. إن العهد الجديد يحوي عبارات أكيدة كهذه: "لأنه أقام يوماً هو فيه مزمّع أن يدين المسكونة بالعدل" (أعمال 31:17). "وكما وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة" (عبرانيين 27:9).

1. القصد من الدينونة

إن القصد من الدينونة ليس تقرير المصير. لأن هذا يتقرر إلى الأبد حينما يموت الإنسان. فلن تكون للإنسان فرصة في العالم الآتي. ويقول الدكتور أ. هـ. سترونغ: "إن هدف الدينونة الأخيرة ليس التأكد من أخلاق الفرد بل الكشف عنها وتعيين الحالة الموافقة لها".

وبولس يقول: "لأنه لا بُدَّ أَنَّا جَمِيعاً نُظْهِرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيُنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَّا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا" (2 كورنثوس 5: 10).
إن قصد الدينونة سيكون منح الثواب أو العقاب. فلن ينال كل المخلصين الثواب ذاته. كما أنه لن يكون عقاب الهالكين بمقياس واحد. فالله سيعطي كلاً حسب أعماله وسيكون الثواب والعقاب حسب الفرص التي مُنحت للإنسان وحسب المسلك الذي سلكه فيها.

2. الديان

إن الأسفار المقدسة تعلن أن المسيح سيكون هو الديان: "لأنه أقام يوماً هو فيه مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ بِرَجُلٍ قَدْ عَيْنَهُ مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيمَانًا إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ" (أعمال 17: 31). "لأنه لا بُدَّ أَنَّا جَمِيعاً نُظْهِرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ" (2 كورنثوس 5: 10).

إن الذي قدم نفسه مخلصاً هو الذي سيقف الناسُ أمامه ليُدينوا. لقد وقف يسوع أمام بيلاطس ولا بد من يومٍ يقف فيه بيلاطس أمام يسوع.

3. طبيعة الدينونة:

تُرى كيف تكون طبيعة هذه الدينونة الأخيرة؟

(1) شخصية. "إِذَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا سَيُعْطِي عَنْ نَفْسِهِ حِسَابًا لِلَّهِ" (رومية 14: 12). لن يضيع الفرد في المجموع، وكل واحد سيعطي حساباً عن نفسه وليس عن غيره.

(2) عامة. إنها ستشمل كل الشعوب "لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح" (رومية 14: 10). لن ينجو منها أحد. "ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله" (رؤيا 20: 12).

(3) دقيقة. ستشمل الدينونة الأفكار والأقوال والأعمال "إِذَا لَا تَحْكُمُوا فِي شَيْءٍ قَبْلَ الْوَقْتِ حَتَّى يَأْتِيَ الرَّبُّ الَّذِي سَيُنِيرُ خَفَايَا الظُّلَامِ وَيُظْهِرُ أَرْءَ الْقُلُوبِ" (1 كورنثوس 4: 5). وبهذا الصدد يقول يسوع "ولكن أقول لكم أن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين" (متى 12: 36). كما أننا نقرأ في سفر الرؤيا 20: 13 "ودينوا كل واحد بحسب أعماله".

(4) عادلة وبلا محاباة. إن الله لا يجابي الوجوه فموقف الإنسان على الأرض لن يكون له أية علاقة بموقفه أمام الله. لن يكون في ذلك اليوم أخطاء أو سوء تنفيذ للعدالة فكل واحد سينال ما يستحقه بالعدل.

(5) نهائية. لن يكون الحكم الصادر في الدينونة أي نقض لتلك الدينونة ولا استئناف لمحاكمة أخرى لأن الحكم الذي سيصدر في ذلك اليوم هو حكم أبدي.

الحالة النهائية

وسيكون الأبرار والأشرار في حالتهم النهائية بعد الدينونة. وستكون هذه الحالة أبدية في مداها.

1- الأبرار:

إن حالة الأبرار النهائية يمكن النظر إليها من ناحيتين.

(1) حالتهم. تقول الأسفار المقدسة أن الأبرار يدخلون حياة أبدية:

"فِيمْضِي هُوَ لَاءِ إِلَى عَذَابِ أَبْدِيٍّ وَالْأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبْدِيَّةٍ" (متى 25: 46). كل مسيح حقيقي هو مالك للحياة الأبدية: "الَّذِي يُؤْمِنُ بِالْإِبْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبْدِيَّةٌ" (يوحنا 3: 36). ولكن الخاتمة المجيدة ستكون في العالم الآتي.

الحياة الأبدية هي بما لا يقاس أكثر من مجرد وجود أبدي. فهي تشير إلى نوع الحياة أكثر مما تشير إلى مداها. إنها حياة الله في نفس الإنسان. إنها الحياة بكل ملئها، ومجدها وقوتها، حياة لا تحدها حدود الأرض، فقد قال يسوع: "وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبْدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحَدَّكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ" (يوحنا 17: 3). إنها حياة شركة مع الله وخدمة مفرحة.

(2) مسكنهم. إن مسكن الأبرار النهائي هو السماء. وقد وصف يسوع هذا المسكن بأنه حقيقي: "فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ وَإِلَّا فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لِأَعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا، وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعَدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَأَأْخُذُكُمْ إِلَيَّ حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا" (يوحنا 14: 2-3).

لقد وُصِفَت السماء بتشبيهات عديدة في كلمة الله، ولكن ليس هناك عبارة في اللغة نستطيع أن نصف بها مجد السماء، فليس فيها قط ما يسبب الألم والأسى: "وَالْمَوْتُ لَا يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلَا يَكُونُ حُزْنٌ وَلَا صُرَاخٌ وَلَا وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ"

(رؤيا 21: 4). سيكون في السماء كل ما يشبع اشتياق النفس العميق - راحة وسلام وفرح وشركة وخدمة.

2. الأشرار:

إن حالة الأشرار النهائية يمكن النظر إليها أيضاً من ناحيتين.

(1) حالتهم. كما يدخل الأبرار حياة أبدية يدخل الأشرار موتاً أبدياً. ولكن كما أن الحياة الأبدية لا تُشير بالدرجة الأولى إلى الكيان الأبدي فكذلك الموت الأبدي لا يعني انقطاع الكيان، إنه انفصال عن الله ومجد الحياة الأبدية. وكما أن حالة الأبرار هي حالة سلام وفرح فكذلك حالة الأشرار بؤس وعذاب "هناك يكون البكاء وصريير الأسنان متى رأيتم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وجميع الأنبياء في ملكوت الله وأنتم مطروحون خارجاً" (لوقا 13: 28).

(2) مسكنهم. إن مسكن الأشرار النهائي قد دُعي جهنم وهذا أيضاً مكان حقيقي. لقد وُصف بتعابير تشبيهية، ولكن هذه لم تمنع حقيقة جهنم الرهيبة. فقد قال عنها يسوع "الظلمة الخارجية" ومكان "حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ" (مرقس 9: 48). إن مسكن الأشرار حقيقي وأبدي.

إننا عندما نفكر بهذه الأشياء تصبح آية يوحنا 3: 16 أثمن ما لدينا: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية". ويزداد شعورنا بمسؤوليتنا في إيصال إنجيل الخلاص إلى العالم الهالك في الخطية.

أسئلة للمراجعة والامتحان

- 1- ما هما التشبيهان المستعملان لوصف الموت؟
- 2- ماذا نعرف عن وقت رجوع الرب؟
- 3- كيف تكون طبيعة جسد القيامة؟
- 4- ما هي الغاية من الدينونة؟
- 5- صف حالة الأخيار والأشرار النهائية؟